

49

روايات عالمجة للجيب



بقلم : مارك توين
ترجمة وإعداد
د. أحمد خالد توفيق

حكايات مارك توين

المؤلف



تكلّمنا بشيء من التفصيل عن
(مارك توين) في الكتيب رقم ١٨
من سلسلة (فانتازيا)، وأغلب
الظن أن من يقرعون الكتيب الحالي
قد قرعوا الكتيب الآخر؛ لكننا - من
أجل من جاءوا متأخرين - نحكي
بعض الأشياء عن أهم وأعمق
وتظرف أبناء أمريكا.. وهذا الكلام

ليس من عندي، ولكن سبق أن قاله الأديب الأمريكي العظيم
(إرنست هيمنجواي).

(صمويل لانجهورن كليمنس) هو الاسم الأصلي له.. ولد
في ولاية (ميسوري) في نوفمبر عام ١٨٣٥، وسرعان
ما انتقلت أسرته إلى قرية (هاننيسال) التي خلدها في الأدب
الأمريكي، وتوفي أبوه وهو في سن العاشرة، ليبدأ الصبي
كفاحه المعنوي من أجل البقاء، وهو الكفاح الذي رسم كل
خط في أدبه فيما بعد.. وأكثر شخصيات كتبه مارست
الوجود فعلاً وقابلها في مشوار حياته الشاق..

روايات عالمية شهيرة

سلسلة جديدة، تقدّم لك أدوع ما يزخر به الأدب
العالمي، في مختلف صنوفه..
من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال..
من القروسية إلى دنيا الأساطير..
ومن الشرق إلى الغرب..
وإلى الحضارة..
واليك..

د. نبيل فاروق

عمل الصبى عامل طباعة ، ثم استجاب لحلم قديم طالما راوده ،
هو أن يعمل على قارب بخارى فى نهر (المسيسبى) ، وكلفت له
مع النهر قصة حب خلدها فى كتابه (الحياة على المسيسبى) ..

بعد هذا حارب فى أثناء الحرب الأهلية عام ١٨٦١ ، وهى
بدورها خبرة لم ينسها قط : « الحرب هى قتل مجموعة من
الأغراب الذين لا تشعر نحوهم بأى عدااء ، ولو قابلتهم فى
ظروف أخرى لقدمت لهم العون أو طلبته منهم .. »

بعد انتهاء الحرب عمل فى الصحافة فى جريدة محلية
بـ (فرجينيا) ، واتخذ اسم (مارك توين) وهو مصطلح بحرى
معناه (عَلم على اثنين) يعود لأيام الملاحة فى (المسيسبى) ..

كانت حياة (مارك توين) سلسلة من المصائب ؛ فهو
الطفل المشاغب الذى لا يقول إلا ما يريد منهما كان قاسياً
أو مريراً ، لذا ظفر بعداء الجميع .. وهو الاقتصادى الفاشل
الذى يطارده الإفلاس فى كل لحظة ، وهو البائس الذى رأى
أخاه يحترق فوق سفينة فى البحر ، حتى إن شعره شاب فى
دقائق بعدها .. ولم تكن هذه آخر مآسى حياته ..

لقد مات ابنه الأول ، وتوفيت أعز بناته ، وتوفيت زوجته ..

كان لهذا أثره العجيب فى أدبه ؛ لقد ازداد سخرية ..

سخرية مريرة قاسية ، ولسان يصعب إسكاته مهما حاولت ،
ويرغم هذا كله كان (توين) يحتفظ بالآراء الأكثر صراحة
وقسوة لنفسه ، وكان يكتب فى كل موضوع كتابين : كتاباً
يخفيه فى درجه ، وكتاباً يعرضه على الناس ..

وكانت شعبية (توين) تتزايد حتى إنه من الكتاب القلائل
الذين كانوا يقدمون حفلات قراءة جماعية ، يشتري الناس
التذاكر لها ، فقط كي يجلسوا فى مسرح كبير ليصفوا إلى
(توين) وهو يتلو ما كتبه ..

إن قصصه هى مرآة صادقة شفافة للمجتمع الأمريكى ..
شفافة إلى درجة أنها صارت عالمية ، وغدا الناس جميعاً
يستمتعون بحق بأدب هذا الأديب العظيم ، مهما تبسّينت
ثقافتهم وألسنتهم ..

وفى عام ١٩١٠ توفى (توين) ، بعدما رأى - فى نفس
الليلة - مذنّب (هالى) يشق السماء ، وهو ذات المذنّب الذى
شق السماء ليلة ولادته ، ويشكل ما كان (توين) يتوقع
ويرجو أن يمتد به الأجل حتى يراه مرة ثانية وأخيرة !

د. / أحمد خالد

أهم كتب (مارك توين) :

- الضفدع الوثاب من مقاطعة (كاليفيراس) (١٨٦٥) .
- أيرباء بالخارج (١٨٦٩) .
- مغامرات توم صوير (١٨٧٦) .
- متشرد بالخارج (١٨٨٠) .
- الأمير والفقير (١٨٨٢) .
- الحياة على المسيحي (١٨٨٣) .
- مغامرات هاكلبري فان (١٨٨٤) .
- شمالي في بلاط الملك آرثر (١٨٨٩) .
- نحو خط الاستواء (١٨٩٧) .
- الرجل الذي أفسد (هادلبرج) (١٨٩٩) .
- صلاة الجندي (١٩٠٥) .

المصادر :

- ديل كارنيجي : الخالدون . مطبوعات كتابي (٣) .
- فؤاد بولرة : هكذا كتبوا . لدار المصرية للتأليف والترجمة يونيو ١٩٦٦ .
- شبكة الإنترنت ..

ملحوظة :

يمكن للأسدقاء المهتمين بقراءة (مارك توين) بالإنجليزية
أن يجدوا أكثر وأهم أعماله على عناوين الإنترنت التالية :

<http://www.ibiblio.org/gutenberg/cgi-bin/sdb/t9.cgi/t9.cgi>

<http://www.gutenberg.org/index/by-author/tw0.html>

الرجل الذى أفسد (هادلبرج)

1

منذ أعوام طويلة ، كانت (هادلبرج) أكثر المدن استقامة وأمانة فى المنطقة .. وقد حافظت على هذه السمعة بلا تلوث لمدة ثلاثة أجيال . وكانت البلدة فخورة بهذه السمعة إلى حد أنها كانت تعلم الأمانة لأجيال من أطفالها الرضع فى المهد .

ظلت الإغراءات بعيدة عن هؤلاء القوم ، مما جعل أمانتهم تزداد صلابة وقوة .. وكانت البلدان الأخرى تغار من هذا التفوق .. وإن راحت تقول إن هذا كله أمر تافه . لكن الجميع أجمع على أن (هادلبرج) مدينة غير قابلة للإفساد .. وأن قول أى شاب إنه من (هادلبرج) حين يفارقها بحثاً عن الفرص ، يعنى قبوله فى أى وظيفة ..

لكن حدث أن (هادلبرج) تسببت فى مضايقة غريب عابر .. والسبب هو أن (هادلبرج) كانت بلدة مكتفية ذاتياً .. ولم تبال لحظة بأراء الأعراب .. وإن كان من الحكمة عمل استثناء لهذا الغريب بالذات ؛ لأنه كان من الطراز الذى يحتفظ بالمرارة فى قلبه ويحب الانتقام ، وقد أمضى عاماً كاملاً يفكر فى طريقة الانتقام .. وكانت أفضل خطته تؤذى على الأكثر عدداً غفيراً من الناس .. لكنه كان يريد ..

خطة تؤذى البلدة كلها ، فلا يفر منها أحد .. فى النهاية ظفر بفكرة موفقة ..

قال لنفسه وهو يضحك ضحكة شيطانية :

« هذا هو ما سأفعله .. سأفسد أخلاق البلدة .. »

بعد ستة أشهر ، ذهب إلى (هادلبرج) .. وصل إلى بيت محاسب المصرف حوالى الساعة العاشرة مساءً .. كان يحمل حقيبة يتعثر بها وهو يقطع الفناء الخلفى للكوخ ، ثم قرع الباب ..

جاء صوت امرأة يقول :

« تعال .. »

فتح الباب ودخل ليضع حقيبته جوار الموقد ، ثم قال للعجوز التى تقرأ (مؤرخ الإرساليات) جوار المصباح :

« هل لى أن أقابل زوجك لدقيقة يا سيدتى ؟ »

« لا .. إنه فى (براكستون) ولن يعود إلا فى الصباح .. »

« لا مشكلة يا مدام .. فقط أريد أن أترك هذه الحقيبة المظقة بالأختام ليعطيها لمالكها الأصلي حين نجده .. أنا مجرد غريب .. ومهمتى الآن قد تمت فى فخر ورضا .. سوف أرحل ولن تسمعى عنى ثانية ، وكل شىء مشروح بالتفصيل فى المذكرة المثبتة على الحقيبة .. »

كانت المرأة خالفة من الغريب ، لكن حين رحل غلبها
الفضول ففتحت المذكرة :

- « هذه الحقيقية تحوى عملات ذهبية وزنها 160 رطلاً
وأربع أوقيات » .. »

هرعت المرأة - مسز (ريتشاردز) - تطلق للباب والستائر ،
وأصغت قليلاً إلى صوت اللصوص ثم عادت تقرأ المذكرة :

- « أنا غريب .. وسوف أعود إلى وطنى ، لكنى مدين
لـ (أمريكا) بما حصلت عليه وأنا تحت علمها .. لقد قدمت
لى (هاندلبرج) خدمتين .. »

« الأولى هى أننى كنت مقامراً .. أقول (كنت) .. وصلت
القرية ليلاً جائعاً مفلساً .. كنت خجلاً من أن أتسول ، لكنى
فعلت ذلك فى الظلام .. وكان هناك رجل أعطانى عشرين
دولاراً .. بمعنى آخر أعطانى الحياة .. لأننى بهذا المال
قامرت وكونت ثروة وبدأت حياة جديدة .. »

« ومع العشرين دولاراً ، أعطانى نصيحة خالدة لم أنسها
قط .. لكنى لن أقامر ثانية .. »

(*) هو فى 73 كيلو جراماً

« أنا لا أعرف هذا الرجل ، لكنى أريد أن تجدوه .. وأن
يأخذ هذا المال ليصرفه أو يبيده أو يدخره كما يريد .. أنا
مطمئن إلى أمة هذه البلدة ، وأعرف أن بوسعى الثقة بها ..
يمكنكم أن تجدوا هذا الرجل عن طريق ملحوظة قالها لى
فى تلك الليلة .. »

« أقترح أن تجروا التحريات بشكل شخصى .. اكتبوا
محتويات هذه الرسالة لكل من تعتقدون أنه الرجل الذى
ساعدنى .. فإذا جاء من يقول إنه هو الرجل ، فاسأله عن
الملحوظة التى قالها لى .. إنها مكتوبة فى المظروف داخل
الحقيبة .. لو كانت هى الملحوظة ذاتها فالرجل هو .. أما لو
فضلتم أن تعلنوا الأمر ، فاتشروا الرسالة فى الجريدة ..
واطلبوا من المرشح أن يظهر فى قاعة اجتماعات البلدة فى
الثامنة مساء يوم الجمعة بعد ثلاثين يوماً من الآن ، ويقدم
ملحوظته فى خطاب مطلق موجه إلى المحترم مستر
(بيرجس) - لو وافق كريماً على المشاركة - ودعوه يحطم
الأختام ويفتح الحقيبة ، ليرى إن كانت الملحوظة
صحيحة .. فإن كانت صحيحة أعطوا المال لصاحبه مع
جزيل شكرى .. »

جلست مسز (ريتشاردز) ترتجف من الإثارة ..

« فقط لو كان زوجي هو الرجل المحظوظ .. نحن فقيران ..
فقيران ومستان .. »

ثم تنهدت وقالت :

« لكن ليس عزيزي (إدوارد) من يفعل هذا .. ليس
هو من يعطي غريباً عشرين دولاراً .. لكن هذا مال قمار ..
نقود خطيئة ! لا نستطيع أن نلمسها .. لا أريد أن أكون
بجوارها .. »

وابتعدت عن الحقيقة :

« أتمنى لو جاء (إدوارد) وأخذها إلى المصرف ..
فلو أن نصاً جاء الآن .. من المرعب أن أكون هنا مع هذه
الأموال .. »

عاد زوجها في الحادية عشرة ليقول لها :

« أنا متعب جداً .. أنا مجرد عبد لرجل آخر .. وهو
مستريح في بيته يلبس خفيه الدافئين .. »

« أنا حزينة من أجلك .. لكن على الأقل لدينا اسمنا الطيب .. »

« نعم يا (ماري) .. هذا كل شيء .. اغفري لي ..
بالمناسبة .. ما الذي في هذه الحقيقة ؟ »

حكى له زوجته القصة كاملة .. فشعر بالدوار وقال :

« ماذا نفعله ؟ هل نجرى مخبرات شخصية ؟ لا .. أعتقد
أنه لا بد من إعلان الأمر .. سيجعل هذا كل القرى الأخرى
تشعر بالفيرة .. لأنه ما من غريب يتهور هكذا إلا مع
(هالبرج) .. يجب أن أذهب إلى الجريدة الآن .. »

« لا .. لا .. لا تتركني هنا مع هذه يا (إدوارد) .. »

لكن زوجها كان قد ابتعد .. وبعد خطوات قابل رئيس
تحرير الجريدة فناولته المذكرة ..

قال الرجل :

« ربما تأخرنا يا مستر (ريتشاردز) .. لكن سأرى .. »

عاد الرجل لزوجته .. وكان النوم مستحيلاً لأن السؤال
المهم كان هو : من في البلدة يمكن أن يعطي عشرين
دولاراً لغريب .. لم تكن هناك إلا إجابة واحدة :

« باركلي جونسون .. »

« الجميع يعرف هذا .. منذ ستة أشهر حتى الآن والبلدة
أمانة .. تحافظ على ممتلكاتها .. بخيلة .. »

« هذا هو ما كان يقوله .. »

- « ولهذا كان الجميع يكرهه .. »

- « نعم .. لكنه لم يبال .. كان أفضل رجل مكروه بيننا ..
باستثناء المحترم مستر (بيرجس) .. »

- « كان (بيرجس) يستأهل هذا .. ولن يحتشد له المصلون
ثانية .. لكن أليس غريباً أن يختار الغريب (بيرجس) لتسليم
المال ؟ »

- « (مارى) .. ربما يعرفه الغريب خيراً مما تعرفه القرية ..
ليس الرجل سيئاً .. »

أصابته زوجته الدهشة :

- « هراء !! »

- « أعرف أنه ليس سيئاً .. لكن نقص شعبيته يعود إلى
شئ واحد .. الشئ الذى أحدث كل هذه الضوضاء .. »

- « شئ واحد حقاً !! كأن هذا الشئ غير كاف .. »

- « (مارى) .. أؤكد بشرفى أنه كان بريئاً .. »

- « لا أصدق هذا وليس بوسعى .. فكيف تعرف ؟ »

- « يخلنى أن أعترف .. كنت الرجل الوحيد الذى عرف

أنه برىء .. كان بوسعى إتقائه لكنى لم أجرو .. كان الكل
سينقلب ضدى .. لم يكن لدى من الرجولة ما يكفى لهذا .. »
فكرت الزوجة قليلاً .. كان الصراع مريراً لكنها حسمته
وقالت :

- « كنت سأمنعك على كل حال .. لكن ترى كيف يفكر
فيما الآن ؟ »

- « هو ؟ هو لا يشك لحظة فى أنه كان بوسعى إتقائه ..
حين كانت القصة جديدة ملتبهة ، وكانت البلدة ستضعه على
قضيب قطار وتطرده* ، لم يسمح ضميرى بهذا .. لهذا
توجهت إليه وأذرتة .. من ثم غادر البلدة .. فترة كافية
حتى هدأت الأمور وعاد .. »

- « لو أن أحداً عرف .. »

- « كنت أموت رعباً من هذه الفكرة ، ولهذا لم أخبرك حتى
لا يفتضح الأمر على وجهك .. بعد فترة أيقنت أن أحداً لن يشك
فى ، وبدأت أشعر بالمعاناة من أجل ما فعلت .. »

عادا ثانية إلى لغز حقيقة الذهب .. وبدأت المحادثة تعانى

(*) عادة العرب فى طرد الذكور من البلدة .. وهى طريقة عبثية مثلها مثل القطران

من وفقات ومقاطعات بسبب التفكير العميق .. فى النهاية غرق
(رتشاردز) تماماً فى التفكير وتدرجياً بدأ يرتب أفكاره ..

فى نفس الوقت كانت زوجته غارقة فى الصمت ، وبدا
عدم الراحة على حركاتها ..

فجأة نهض زوجها فاعتمر قبعته ، كأنما هو رجل يمشى فى
لثاء النوم ، وغادر المنزل .. بينما جلست زوجته مكتئبة وكأما
لم تشعر قط أنه غادر المنزل .. ومن حين لآخر تنفخ :

- « لكننا فقيران جداً .. من سيتأذى لو ؟ لن يعرف أحد ..
ولكن ... »

ثم أفاقت من غيوبتها ونظرت لأعلى ثم قالت فى مزيج
من الرعب والسرور :

- « رحل ! لكن لربما تأخر .. لربما تأخر كثيراً .. ربما لا ..
ربما هناك وقت .. »

ووقفت تفكر وتطبق يديها وتفكرهما ..

ركعت جوار الحقيبة وراحت تتحسس جوانبها فى حب ..
بينما ظهر بريق فى عينيها العجوزين البائستين .. وكانت
من حين لآخر تغيب عن العالم وتردد من دون انقطاع :

- « لو أننا فقط انتظرنا .. لو انتظرنا ولم نكن متعجلين
بهذا الشكل .. »

فى الوقت ذاته عاد (كوكس) رئيس التحرير لداره
وأخبر زوجته بالقصة ، واتفقا على أنه لا يوجد إلا رجل
واحد فى البلدة يمكن أن يعطى غريباً عشرين دولاراً هو
(جودسان) ..

ظلت الزوجة شاردة قليلاً ثم قالت كأنما تكلم نفسها :

- « لا أحد يعرف بهذه القصة سواتا .. سواتا وآل
(رتشاردز) .. »

خرج الزوج من شروده وحملق فى زوجته بكآبة ،
ثم نهض فى تردد ونظر لقبعته .. ثم لزوجته فى نوع
من التماسؤل الصامت . ابتلعت الزوجة ريقها وبدلاً
من الكلام هزت رأسها .. بعد لحظة صارت وحدها تكلم
نفسها ..

الآن يهرع (كوكس) و(رتشاردز) عبر الشارع المقفر
من اتجاهين مختلفين ..

تقابلا لاهئين عند درج مكتب الطباعة .. وفى ضوء الليل
الخافت قرأ كل منهما وجه صاحبه ..

همس (كوكس) :

- « لا أحد يعلم بهذا سواتا ؟ »

جاء الرد الهامس :

- « ولا مخلوق .. بشرقى .. ولا مخلوق .. »

- « ألم يتأخر الوقت كى .. »

كانا يصعدان فى الدرج ، هنا قاطعهما صبى ، فسأل
(كوكس) :

- « هل هذا أنت يا (جونى) ؟ »

- « نعم يا سيدى .. »

- « لا تشحن البريد .. لا تشحن أى بريد .. انتظر حتى
أخبرك .. »

- « لقد ذهب يا سيدى .. »

- « ذهب ؟ »

كان فى صوته رنين من خيبة الأمل التى لا توصف ..

- « نعم يا سيدى .. لقد تغير الجدول الزمنى لـ (بركستون)
وكل البلدان القريبة .. »

لم يتكلم أى الرجلين لعشر دقائق .. ثم قال (كوكس) :

- « ماذا جعلك تتعجل بهذا الشكل ؟ »

كانت الإجابة بسيطة بما يكفى :

- « الآن أرى ذلك .. لكن لم أفكر قط حتى فات الأوان .. »

لكن المرة القادمة .. »

- « فلتذهب المرة القادمة للجحيم ! لن تتكرر الفرصة
ولو بعد مليون سنة .. »

ثم افترق الصديقان دون تحية المساء ، وجرا نفسيهما
كأنما هما رجلان منيا بفقد حبيب .. وفى كل بيت وثبتت
الزوجة صالحة : حسن ؟

ثم إنها رأت الإجابة على وجه زوجها .. من ثم غاصت
فى المقعد شاعرة بالأسى ..

وفى كل بيت دارت مناقشات أكثر خشونة والتهابا ..

قالت ممز (رتشاردز) :

- « لو أنك فقط انتظرت .. لو توقفت لتفكر .. لكن لا .. »

لا بد من أن تجرى إلى مكتب الجريدة وتشر الخير للعالم كله .. »

- « كانت المذكرة تطالبني بالنشر .. »

- « لا .. قالت تصرف بشكل شخصي لو أردت .. »

- « ربما .. لكنى فكرت فى الصخب الذى ستحدثه القصة ، والفخر الذى ستجلبه لـ (هادلبرج) .. »

- « أعرف هذا لكن لو أنك فقط توقفت لتفكر .. لعرفت أن الرجل المعنى ميت فى قبره بلاوريث .. ولما كان المال سيذهب إلى من يريده بقوة .. ولما كان أحد لن يتعذب .. »

ثم انفجرت فى البكاء فراح الزوج يبحث عما يهدئها ..

- « لقد كان هذا مكتوباً لن ... »

- « مكتوباً .. كل شيء مكتوب ؟ حين يبحث المرء عن مخرج لغيبائه .. لم لا تفكر فى أنه كتب لنا أن نحظى نحن بهذا المال ؟ ومن أعطاك الحق فى تفسير إرادة السماء ؟ كان هذا خطأ .. كان هذا تفسيراً تجديفياً .. »

- « لكك تعرفين يا (ماري) أننا ندرّبنا .. حتى صارت طبيعة ثانية لنا فى هذه القرية ألا نتساعل حين يكون هناك شيء يتعلق بالأمانة .. وهاتحن أولاء نرى كيف تصدعت هذه الأمانة الصناعية عندما برز أول إغراء حقيقى . »

- « (إدوارد) . أنا مؤمنة أن أمانة هذه البلدة متعقنة مثل أمانتى مثل أمانتك .. إنها بلدة منحطة .. بخيلة .. بلا أية فضيلة سوى هذه الأمانة المزعومة . أعترف لك بأننى مخادعة . كنت كذا طيلة حياتى دون أن أعرف .. »

- « حسن يا (ماري) . أنا أشعر بالشيء ذاته . »

وساد الصمت فى النهاية قائت الزوجة :

- « أعرف قيم تفكر يا (إدوارد) .. »

بدا عليه الخجل وسمعت من ضبط متلبساً .. فقالت :

- « لا مشكنة .. كنت أفكر فى الشيء ذاته . »

- « ليكن .. قولها .. »

- « كنت أفكر ماذا لو أن أحداً ضمن محتوى المذكرة فى الحقيقة . تلك التى تحوى الملحوظة التى قالها

(جودسان) للغريب .. سنقف مراقبين حتى يفتح
المصرف في الصباح ونضع الحقيبة فيه .. الآن لندخل
الفراش .. »

« لننام ؟ »

« بل لنفكر .. »

في الوقت ذاته كان آل (كوكس) قد فرغا من الجدل ،
وراحا يفكران في عمق في محتوى الملحوظة التي قالها
(جودسان) للغريب .. الملحوظة التي تساوى أربعين ألف
دولار ..

أما السبب الذي جعل مكتب البرق في البلدة مفتوحا حتى
هذه الساعة ، فهو أن مندوب جريدة (كوكس) كان يمثل
وكالة (أموشيتد برس) هنا .. نقصد أنه يمثلها فخريا لأنه
لم يكن ينجح إلا أربع مرات في العام في كتابة ثلاثين كلمة
تقبلها الوكالة .. لكن هذه المرة كان الأمر يختلف .. لقد
أرسلت له الوكالة تقول : أرسل القصة كاملة .. كل شيء ..
1200 كلمة ..

شعر الرجل بأنه أكثر الرجال فخرا في العالم .

وفي الصباح التالي كان اسم (هادلبرج) - المدينة التي
لا يمكن إفسادها - على كل لسان في الولايات المتحدة ..
وراح الناس يتناقشون حول الغريب وحقيبة الذهب .. وعن
الكلمات المذكورة في الرسالة ..

صحت (هادلبرج) لتجد نفسها شهيرة . مذهولة .

وخرج مواطنوها للتسعة عشر الأهم يتصافحون .. يتسمون .. ويقولون إن قواميس اللغة الإنجليزية ازدادت كلمة جديدة هي (هادلبرج) بمعنى (نزيه) ..

ركض الجميع إلى المصرف ليروا الحقيقة .. ثم بدأ الصحفيون يأتون ليروا الحقيقة ويكتبوا عنها من جديد . والتقطوا الصور للكنيسة وقاعة الاجتماعات حيث سيتم الاختبار التقطوا صوراً للجميع حتى (جاك هاليداي) الصيد مرح الطباع قليل الكبرياء صديق الأطفال والكلاب الضالة كل الوجوه كانت تندی رضا حالماً .. وسعادة غلوية ثم بدأ التغيير .. ببطء شديد ..

ربما ما كان أحد ليلاحظ للتغيرات ما عدا (جاك هاليداي) الذي كان يلاحظ كل شيء . لقد بدأ يلقي ملحوظات ضاحكة عن الناس الذين لا يبدون بذات السعادة كما كانوا أمس . في قتهلية أعلن أن الناس يبدو عليهم الهم والشرود ونشغال قبل

في كل فراش كان أحد أعلام البلدة يقول لزوجته شاردنا :

- « ترى ما هي الملحوظة التي قالها (جودسان) ؟ »

فتهز زوجته رأسها وتقول :

- « لا تفعل .. ترى أية أشياء مريضة في ذهنك ؟ أبعد الفكرة عنك بالله عليك .. »

ويتكرر الأمر في الليلة الثانية والثالثة .. هنا تبدأ الزوجات في الاعتراض بصوت أضعف فأضعف .. ثم تأتي الليلة التي يقتل فيها :

- « فقط لو استطعنا التخمين .. »

ويوماً بعد يوم كانت سخرية (هاليداي) لا تطاق .. لكنها كانت الضحكة الأخيرة في البلدة المهمومة التي لم تعد فيها بسمة واحدة ..

وهكذا مرت ثلاثة أسابيع ولم يبق إلا أسبوع واحد .

كان هذا يوم السبت بعد العشاء . لكن شوارع المدينة كانت خالية بدلاً من المرح والتسويق ..

لقد جلس (ريتشاردز) وزوجته العجوز في الردهة .. تعيسين يفكران . لقد صارت هذه علاقتهما .. لقد متت ونسيت

عادتُهما القديمة ليلاً في الحياكة والقراءة والثروة الراضية
أو زيارة الجيران . لم يعد أحد يتكلم أو يزور الجيران .. كل
القرية تجلس قلقة صامتة في البيوت ..

تلقى (رتشاردز) رسالة فنظر لها نظرة عابرة ..
ثم ألقي بها على المنضدة وعاد إلى أماله المحبطة ..
بعد ثلاث ساعات نعت زوجته وتأهبت للذهاب إلى
الفراش دون مساء الخير .. ثم رأت الخطاب فرمته
بلا اهتمام ..

وكان زوجها جالساً حين سمع صوت ارتطام . هرع
ليرى ما هناك ، لكن زوجته صاحت :

« دعنى وشانى .. أنا سعيدة جداً .. اقرأ الخطاب .
اقرأ .. »

وفعل . التهم الخطاب وعقله يتسارع .. كان الخطاب من
ولاية بعيدة .. وكان يقول :

« أنا غريب بالنسبة لكما لكن هذا لا يهم .. لقد وصلت
لوطني من المكسيك ، وعرفت بهذه القصة .. أنتما طبعاً
لا تعرفان من قال تلك الملحوظة ، لكنى أعرف .. أنا الوحيد
الذى يعرف .. »



التهم الخطاب وعقله يتسارع كان الخطاب من ولاية بعيدة

« لقد كان هذا (جودسان) .. لقد عرفته جيدًا منذ أعوام ..
لقد مررت بقريتكم في تلك الليلة وكنت ضيفه حتى جاء
قطار منتصف الليل .. سمعته يذكر تلك الملحوظة للغريب
في الظلام .. كان هذا في زقاق (هال) .. »

« لقد تكلم (جودسان) عن بلدتكم وعنكم .. وقد نكر الجميع
بالسوء فيما عدا ثلاثة كانت نبرته حسنة نوعًا بخصوصهم ..
أقول (حسنة نوعًا) .. لاشيء أكثر .. هؤلاء الثلاثة أنت
ضمنهم .. قال إنك في يوم ما أدبت له خدمة عظيمة .. وإنك
لم تكن تعرف قيمتها ، وإنه لو كان يملك ثروة لتركها لك
ولترك اللعنة لكل القرية .. »

« إذن أنت وريثه الشرعي .. ومن حقك أن تحصل
على الذهب .. وأن أعهد فيكم آل (هالبرج) الأمانة
والصدق ، لذا سأذكر لك تلك الملحوظة وأنا مطمئن
إلى أنه لو لم تكن أنت ، فإثك ستبحث عن الرجل
المقصود .. »

« الملحوظة التي قالها (جودسان) هي : أنت لم تتحدر
إلى مرتبة الأشرار .. اذهب وأصلح نفسك .. »

« هوارد ل. ستيفنسون .. »

صاحبة الزوجة :

« أه يا (إدوارد) ! أنا سعيدة جدًا .. لقد أردنا هذا .. إن
المال لنا .. والآن أنت حر من (بنكرتون) ومصرفه .. لم
تعد عبدًا لأحد .. أشعر بأنني أطير فرحًا .. »

وجلس الزوجان شاعرين بسعادة لم يظفرا بها منذ أيام
الخطبة .. فقد صارت حياتهما روتينًا ثابتًا لا يتغير حتى
جلب الغريب المال .. وقالت الزوجة :

- « أوه .. كم أن هذا حظ حسن أنك أدبت هذه الخدمة
لـ (جودسان) المسكين .. لم أحبه قط لكنني أحبه الآن ..
ومن الجميل أنك لم تذكر هذا المعروف قط أو تتباهى
به .. »

قال (إدوارد) مرتبًا :

- « م م م .. (ماري) .. أنت ترين .. »

- « كف عن الضعفة واحك لي يا (إدوارد) .. الكل يؤمن
أنه كانت هناك روح واحدة كريمة في هذه القرية ، والآن
يتضح لي أن هذه الروح هي أنت .. لماذا لا تقول لي ؟ »

- « لكن يا (ماري) .. لا أفكر .. »

« لماذا لا تقدر ؟ لماذا لا تقدر ؟ »

« لأنه جعلني القسم ألا أتكلم .. »

نظرت له في حدة :

« جعلك تقسم ؟ لم تخبرني بهذا ؟ »

« وهل تحسبيني أكذب ؟ »

وضعت يدها على رجليه وقالت :

« لا لا . لقد ابتعدنا عن طبيعتنا كثيرا فليحمننا الله

من هذا .. أنت لم تكذب في حياتك . لكن أشياء كثيرة

تتهوى من تحت أقدامنا الآن .. »

كان (إدوارد) شارد الذهن لأن عقله كان يحاول تذكر

أية خدمة قدمها لـ (جودسان) على الإطلاق .

وهكذا ظلا ساهرين .. (ماري) سعيدة مشغولة .

(رتشاردز) مشغول لكنه ليس سعيداً ..

هل سبق له أن أدى خدمة لـ (جودسان) ؟ بالطبع هناك

كلمات (جودسان) نفسه .. هي الدليل الذي لا يدحض .

إذن قد استقرت هذه النقطة ..

لكن (ستيفنسون) كاتب الرسالة لم يكن واثقاً تماماً

مما إذا كان (رتشاردز) هو من قدم الخدمة .. بل إن الأول

واثق من أن (رتشاردز) لو لم يكن هو المقصود فليسوف

يذهب ليبحث عن مقدمها الحقيقي ..

نقطة أخرى : كيف ظل اسم (رتشاردز) في ذهن

(ستيفنسون) كل هذه الأعوام ولم يخلطه باسم آخر ؟ هذا

جميل .. كلما دققت في الأمر وجدت أن هذا دليل كاف على

أن (رتشاردز) هو من قدم الخدمة ..

هكذا قرر أن يتخلص من التفكير في هذه المسألة .

إنه مستريح الآن .. لكن هناك مشكلة أخيرة تلح عليه ..

بالطبع هو قد قدم خدمة . هذا مؤكد . لكن ماذا كانت

الخدمة ؟

يجب أن يتذكر ولا يخلد للنوم قبل أن يتذكرها . لذا فكر

وفكر .. لم يبد له أي احتمال معقولاً . لم يبد له أي شيء

يستحق المال الذي تعني (جودسان) أن يتركه له .

ما نوع الخدمة التي تجعل رجلاً ممتناً إلى هذا الحد ؟

إنقاذ روحه ! لا بد أنه كذلك ..

تذكر كيف حاول ذات مرة أن يغير شخصية (جودسان) .

وكم جاهد لهذا . بدا له أنه حاول ثلاثة أشهر .. لكن إذ فكر ثانية وجد أنها فترة شهر .. ثم أسبوع .. ثم يوم .. ثم لا شيء .. لقد تذكر الآن أنه نصيح (جودسان) لكن الأخير نصحه بأن يذهب إلى الجحيم ولا يتدخل فيما لا يعنيه ..

إن .. هذا الاقتراح فشل .. إنه لم ينقذ روح (جودسان) .. بعد قليل خطرت له فكرة أخرى .. هل أنقذ ممتلكات (جودسان) ؟ لا . لم يكن لدى الرجل ممتلكات ..

هل أنقذ حياته ؟ لا .. وإلا لكان تذكرها ..

لكنه على الطريق الصحيح .. إن عقله يعمل بأفضل كفاءة له الآن ..

لذا - خلال ساعتين من التفكير المضمني - كان ينقذ حياة (جودسان) لقد أنقذها بكل السبل الممكنة . وفي كل مرة كان ينقذ الرجل بشكل جيد ، ثم إذ يقنع نفسه بأن هذا حدث فعلاً ، كان يقابل تفصيلاً عسيراً يجعل الأمر مستحيلاً .

مثلاً بالنسبة للفرق ، كان يغطس في الماء ويجذب (جودسان) إلى الشط بينما جمهور غفير يهتل ويصفق . لكن ما إن يبدأ في تصديق أن هذا قد حدث ، كانت مجموعة

تفاصيل مزعجة تبرز له . كانت المدينة ستعرف القصة .. وكنت (ملرى) ستعرفها .. كان سيذكر كل التفاصيل بدلاً من أن تكون الذكرى «خدمة عظيمة لم تكن تعرف قيمتها ..»

وهنا تذكر أنه لا يستطيع السباحة على كل حال ..

لحظة .. هناك نقطة تناسبها أو نسيها .. لابد من أن تكون الخدمة «خدمة عظيمة .. ولكنه لم يعرف قيمتها ..» هذا سيسهل البحث ..

منذ أعوام كاد (جودسان) يتزوج فتاة حسناء حلوة اسمها (ناتسى هويت) .. لكن لمسبب ما لم يتم التوافق ، وماتت الفتاة وبقي (جودسان) عزباً .. وبمرور الوقت اكتسب المرارة واحتقار الجنس البشرى قبل موت الفتاة وجد أهل البلدة أو ظنوا أنهم وجدوا بعض الدم الزنجى فى عروقها . وخيل له (رشاردز) أنه هو من وجد هذا الدم الزنجى .. وخيل إليه أنه أخبر القرية .. وأن القرية أخبرت (جودسان) وبهذا نجا من الزواج بالفتاة .. وبهذا يكون قد أسدى له «خدمة عظيمة .. ولكنه لم يعرف قيمتها ..» بل فى الواقع «دون أن يعرف أنه أسداها ..» لكن (جودسان) عرف وذهب إلى القبر راضياً راغباً فى ترك ثروة لمنقذه .. كل هذا واضح ، وكلما فكر فيه بدا له أكثر وضوحاً ..

وهكذا حين أخذ لفرشه كن ينكر الأمر كلما حدث أمس ..
بل إن خياله صور له (جودسان) يشكره على هذه الخدمة ..

في الوقت ذاته أنفقت (ماري) ستة آلاف دولار على
بيت جديد لها ، ثم نامت ..

في ذات الليلة أوصل ساعي البريد تسعة عشر خطاباً
لمواطني البلدة المرموقين .. ولم يتمثل مظروفان .. ولم تتمثل
الخطابات بالداخل .. لكن الصيغة كانت واحدة .. وكلها
بتوقيع (ستيفنسون) .. وقد فعل الجميع ما فطه (رتشارلز) ..
حاولوا تذكر أية خدمة قاموا بها لـ (جودسان) .. بينما
كانت الزوجات ساهرات ينفقن المال .. لقد أنفقت الزوجات
130 ألف دولار معاً ..

وفي الصباح لاحظ (هاليداي) رضا الزوجات وسرورهن ..
ولم يجد تفسيراً لهذا ..

حين قابل مسز (ولكوكس) لاحظ النشوة الهادئة في
عينها .. فسأل نفسه :

« هل رزقت قطتها بقطيبتين ؟ »

وسأل الطباخ عن هذا ، فلم يكن شيء من هذا .. لقد
لاحظ الطباخ سعادتها وإن لم يجد لها سبباً ..

وحين رأى السعادة المزوجة على وجه (شابلبي بيلسون) ،
تأكد من أن أحد جيرانه قد كسر رجله .. لكن البحث أخبره
أن هذا لم يحدث ..

أما السعادة على وجه (شابلبي) فكانت تقول بوضوح إن
حملته ماتت .. لكن هذا كان خطأ آخر ..

أما (بنكرتون) .. فقد بدا كأنما عثر على عشرة سنتات
حسب أنها ضاعت .. لكن لا .. وهكذا .. وهكذا ..

في النهاية قال (هاليداي) لنفسه :

« من المؤكد أن هناك تسعة عشر مواطناً يحلقون في
السماء .. لا أعرف السبب .. »

كان هناك بناء من للولاية المجاورة ، قد أنشأ لنفسه عملاً
في هذه القرية غير الواعدة . ولافتته معلقة منذ أسبوع ..
لم يأتيه زبون واحد .. وكان الرجل من الطراز سريع الفلق ،
وقد ندم على أنه اختار هذه القرية .. لكن الآن تغيرت
الأمور .. لقد جاءت له أكثر من زوجة اليوم تقول له :

« تعال إلى دارنا يوم الاثنين .. لكن لا تقل شيئاً لأحد ..

نحن نفكر في البناء .. »

تلقى إحدى عشرة دعوة لليوم .. في هذه الليلة كتب لابنته

وطلب أن تفسخ خضتها مع خطيبها . قال إنها تستطيع أن
تظفر بعريس أعلى مقامًا بميل كامل ..

فكر آل ويلسون في شيء جديد تمامًا : حفل راقص
جميل .. لم يخيرا أحدًا بالحقيقة لكنهما قلا إنهما يعكران ..
« لو أقمنا هذا الحفل فليسوف ندعوكم حتمًا . »

وقال الناس بعضهم لبعض : « هذان مجنونان . ليس
لديهما المال الكافي لهذا .. »

بعض الناس لم يكتفوا فقط بالحلم بالإفلاق ، بل أنفقوا
فعلًا ، واشتروا بيوت وأثاث وثيابًا وجيادًا . ثم بدأ نوع من
النقى على الوحوه . وهو شيء لم يستطع (هانداي) فهمه :

« قطيقات آل (وئوكوكس) لم تمت لأنها لم تؤند قط .
لم تنقص الحموات . ولم يكسر أحد رجله .. لم يحدث
شيء .. فماذا استجد ؟ »

كان هناك رجل آخر متحير هو المحترم (بيرجيس) .
لأيام بدا له أنه كلما ذهب لمكان كان الناس يقتفون أثره
ويراقبونه . وكئما وجد نفسه وحده كان رجل يدنو منه
ليدس مظلوفًا في يده ويقول :

« يفتح في قاعة الاجتماعات مساء الجمعة . »

ثم يختفي كأنه مذنب . كان يتوقع أن يكون هناك
من يطالب بالحقيقة . وإن كان يشك في هذا لأن
(جودسان) مات ، لكنه لم يتوقع أن يوجد كل هؤلاء
المطالبين

وحين جاء اليوم المحدد كان معه تسعة عشر مظلوفًا .

لم تبد قاعة الاجتماعات في المدينة بهذا البهاء من قبل ..

لقد تمت تغطية المنصة في نهايتها بالأعلام ، ومتباعدة على الجدار كانت زينة من الرايات .. والأعمدة ملفوفة بالأعلام ، كل هذا لإبهار الغرباء والصحافة ..

كان المكان مزدحمًا .. تم احتلال الـ 412 مقعدًا مثبتًا والـ 68 مقعدًا إضافيًا والتي وضعت في الممر بين المقاعد .. وكذا وضعت مقاعد على الدرجات . وعلى المسرح تراصت بعض المقاعد على شكل حدوة حصان ، جلس عليها المراسلون شديدي الأهمية والذين جاعوا من كل صوب ..

كانت النساء في ثياب باهظة الثمن نوعًا ، وإن بدا على النسوة اللاتي يلبسنها أنهن غير مستريحات كأنما لم يعتدن هذا .. وربما نشأ هذا الانطباع من عدم اعتياد البلدة على رؤية هاته النساء في ثياب كهذه من قبل ..

تم وضع حقيبة لذهب على منضدة صغيرة فوق المنصة ، حيث يراها الكل ..

راح الكل ينظر لها باهتمام مشتعل .. اهتمام شغوف

يصل لعابه .. اهتمام كئيب حزين .. إلا أن هناك تسعة عشر زوجًا كانوا ينظرون لها في رفق وحب .. وراح الذكور منهم يرددون في سرهم الخطب المرتجلة التي سيشكرون بها النصفين والتهاني التي سيتلقونها حالاً ..

ومن آن لآخر كان كل واحد منهم يخرج ورقة صغيرة من جيبه ليراجع ما بها من نصائح ذاكرته .

كان هناك كلام كثير ، لكن حين نهض المحترم (بيرجس) ووضع يده على الحقيبة ، كان بوسعهم أن يسمع صوت الميكروبات وهي تمضغ طلعها .. فقد ساد المكان صمت تام .

حكى قصة الحقيبة الغريبة .. ثم راح يتكلم عن (هالبرج) بحرارة .. التي عرفت بالأمانة والصدق .. وعن أن هذه السمعة هي مفخرة البلدة الوحيدة . السمعة التي هي كنز لا يقيم بمال .. والذي جعلته العناية الإلهية أكثر أهمية

وبالتالي صارت البلدة رمزًا دائمًا للنزاهة غير القابلة للإفساد (تصفيق) ..

« ومن هذا اليوم إلى يوم الدين ، سيكون كل منكم مسئولاً عن نفسه وحارسها .. هل يقبل كل واحد فيكم هذه الثقة الغالية ؟ (موافقة صاخبة) .. إذن كل شيء بخير ..

انقلوا هذه الرسالة لأطفالكم وأطفال أطفائكم . اليوم نقاؤكم فوق الشبهات فتأكدوا من أن يبقى كذا . اليوم ليس بينكم من يرغب في أن يمس قرشنا لا يخصه . تأكدوا من أن يبقى الأمر كذلك . كونوا على هذا الشرف مقيمين .. (سنفعل ! سنفعل !) . ليس هذا هو المكان المناسب لنقارن أنفسنا بالآخرين . بعض هذه المجتمعات ينظر لنا بعظة . إن لهم طريقهم ولنا طريقنا . لكن بذلك قاتل . (تصفيق) لقد انتهى كلامي يا أصدقاء . وتحت يدي الآن اعتراف فصيح لرجل غريب عن مجتمعنا في هذا المجتمع من فضائل . وبفضله سيعرف العالم لأحد من نحن . لا أعرف اسم هذا الغريب لكني ناسمكم أعلن له امتناننا .. وأطلب أن ترفعوا أصواتكم بالتأييد .. »

نهض الجميع مهئين واهتزت الجدران بالشكر لفترة لا بأس بها ..

ثم جلس الجميع ومد المحترم (بيرجس) يده إلى جيبه وأخرج منه قصاصة من ورق ..

راح يقرأ ببطء وبشكل مؤثر على حين راح الجالسون يصغون في شبه غيبوبة إلى هذه الوثيقة السحرية ، التي تساوى كل كلمة منها سبيكة ذهب ..

- « الملحوظة التي قنتها للغريب المكروب هي : أنت لم تتحدر إلى مرتبة الأشرار . اذهب وأصلح نفسك »
ثم قال :

- « الآن سنعرف ما إذا كانت هذه الملحوظة هي نفس تلك الموجودة في الحقيقة .. فإذا ثبت هذا - وهو كذلك - فسوف تكون هذه الحقيقة منكم لمواطن من مواطنينا ، سوف يصير من الآن رمزا للفضيلة التي جعلت بلدنا شهيرة في أرجاء الأرض .. مستر (بيلسون) !! »

تأهب الجميع للانفجار في نوبة من التصفيق ، لكن على عكس هذا بدا كأنما الشلل ضرب الجميع ..

ساده الصمت العميق لدقيقة . ثم تعالت موجة من الهمسات عبر المكان . كلها بهذا المعنى تقريبا :

- « (بيلسون) ؟ هلم ! هذه خدعة مفضوحة . يعطى عشرين دولارا للغريب ؟ (بيلسون) ؟ »

ثم لاحظوا شيئا آخر . لاحظوا أنه في طرف القاعة وقف (بيلسون) وقد حنى رأسه . وعلى الجانب الآخر وقف المحامي (ويلسون) في الوضع ذاته ..

استدار الرجلان وتبادلا النظر .. وسأل (بيلسون) :

« لم تقف يا مستر (ويلسون) ؟ »

« لأن لي الحق في ذلك .. ربما تتفضل أنت وتشرح للجميع لماذا تقف أنت ؟ »

« بسرور يا سيدي .. لأنني كتبت هذه الورقة .. »

« هذا تزيف وقح ! أنا كتبتها بنفسى .. »

هنا جاء دور (بيرجس) ليصبيه الشلل ..

لقد وقف ينظر نظرة خاوية إلى أول الرجلين ، ثم للآخر .. ولم يدر ما يفعله ..

قال المحامي :

« أنا أسأل رئيس الجلسة أن يقرأ الاسم الموقع به على الورقة .. »

هكذا عاد لرئيس الجلسة وعيه ، وقرأ الاسم :

« (جون أنتوني بيلسون) .. »

« هكذا ! ماذا بوسعك قوله الآن ؟ وأي اعتذار يمكنك تقديمه لي ولهذا الاجتماع على التخليس الذي جربته الآن ؟ »

« لا اعتذرات يا سيدي .. وإني لأتهمك علناً بالسطو على مذكرتي التي كتبت مع مستر (بيرجيس) ، واستبدال نسخة وقعت عليها أنت بها .. لا توجد طريقة أخرى يمكنك بها تخمين ما جاء في مذكرتي .. أنا وحدي من بين الأحياء أعرف سر الكلمات .. »

كان من الممكن أن تحدث فضيحة ، وقد لاحظ الجميع أن كتاب الاختزال كانوا يدونون هذا كله بسرعة كالمجانين .. كان الكثير يصرخون (مقعد .. مقعد !!) ..

طرق المحترم (بيرجس) بمطرقته وقال :

« دعونا لائنس مقتضيات اللياقة .. لقد حدث خطأ .. لكن هذا كل شيء .. لو كان مستر (ويلسون) قد أعطاني مظروفاً وأنا أذكر الآن أنه فعل ، فهو مازال معي .. »

ثم مد يده في جيبه ، وأخرج خطاباً وفتحه .. ثم نظر فيه مذهولاً قلقاً . لوح بيده بطريقة ميكانيكية مذهشة ، وحاول أن يقول شيئاً ثم استسلم فتعالت الأصوات :

« قل شيئاً .. اقرأ ! »

لذا بدأ يتكلم كمن يسير في أثناء النوم :

« الملاحظة التي قلتها للغريب التعس هي : أنت لم تنحدر إلى مرتبة الأشرار تماماً .. اذهب وأصلح نفسك .. »

ودوت الصيحات : غريب ! مذهل ! ما معنى هذا ؟

قال (بيرجس) :

« إن عليها توقيع مستر (ويلسون) ! »

هنا صاح (ويلسون) :

« هذا ينهى الأمر .. كنت أعرف أن منكرتى قد سرقت .. »

قال (ويلسون) :

« سرقت ؟ سأعلمك كيف أنه لا أنت ولا أى شخص من

نوعك يمكن أن يجروا على ... »

صاح رئيس الجلسة :

« النظام أيها السيدان .. النظام ! أرحوا أن تجلسا ! »

كان الجميع فى ذهول ، عندما نهض (تومسون) صانع
القبعات .. كان يتعنى لو كان من التسعة عشر محظوظاً ، لكن
رصيده من تجارة القبعات لم يؤهله ليكون مرموقاً .. قال :

« سيدى . هل لى أن أقترح أن كلا السديين على حق ؟
لربما قال كلاهما ذات الكلمات للغريب .. »

هنا نهض الدباغ الذى كان حاد الطباع وقال :

« طبعا .. هذا قد يحدث مرتين فى كل مائة عام .. لكن
المستحيل هو أن يعطى أى منهما عشرين دولاراً لغريب ! »

وتعالى للتصفيق ...

قال الدباغ :

« الآن سيدى هناك شىء أكيد . أحد هذين الرجلين كان
يتلصص على الآخر ويسترق السمع لأسراره العقلية .. وليس
فى القترلحى هذا ما يمس الروح البرلمانية بسوء .. إننى أرى
أن كليهما جدير بهذا .. وأرى أنه لو كن أحدهما قد سمع
الآخر يحكى القصة لزوجته ، فسوف نعرف هذا الآن .. »

جاء صوت يسأل :

« كيف ؟ »

« سهل . كلاهما لم يذكر الملحوظة بنفس الكلمات ..
كنتم ستلاحظون هذا لولا المشاجرات بين الورقتين .. »

« ما هو الفرق ؟ »

« كلمة (تماماً) فلو أننا فحصنا الورقة فى الحقيقة
لعرفنا من من هذين الدجلين . (الهدوء يا سادة .. الهدوء) .
من من هذين المقامرين . (النظام يا سادة .. النظام) .

من من هذين السديدين (ضحك وتصفيق) .. يستحق أن يكون
أول نصاب عديم الأمانة ينشأ في مدينتنا .. التي ستصير
جحيماً له من الآن فصاعداً ! »

مد المحترم يده في الحقيقة وأخرج منها مظروفين
مغلقيين .. وقال :

« أحد هذين يقول : لا يفحص إلا بعد قراءة كل المطالبات
المقدمة للرئيس . الآخر كتب عليه : الاختبار .. كتب في
الورقة : لا أريد الدقة الكاملة في نصف الملاحظة الأولى
التي قالها لي المحسن . لأن كلامها غير مهم ويسهل
نسيانه .. لكن الكلمات الخمس عشرة الأخيرة مهمة جداً ..
وما لم يذكر لك هذه الكلمات الأخيرة بدقة يمكنكم اعتبار
المطالب نصاباً . لقد بدأ المحسن إلى بأن قال إنه لا يعطي
النصائح إلا فيما ندر . لكن نصائحه عظيمة القيمة حين
يعطيها . والنصيحة التي قالها لي لن أنساها أبداً : أنت لم
تنحدر إلى مرتبة الأشرار تماماً .. »

هنا تعالت الأصوات :

« هذا يسوى الأمر .. (ويلسون) ! (ويلسون) ! خطبة ..
خطبة ! »

هنا بقى الرئيس على المنضدة وصاح :

« نظاماً يا سادة ! النظام ! دعوني أكمل ! »

وحين عاد الهدوء واصل القراءة ..

« اذهب وأصلح نفسك .. تذكر كلماتي .. لأن خطاياك
ستجطك تموت وتذهب إلى الجحيم أو إلى (هادلبرج) ..
حاول أن تختار الخيار الأول .. »

سلا صمت عميق .. ثم بدأت سحابة من الغضب تخيم
على الجالسين .. ثم بدأت السحابة تعلو ، وبدأ شعور من
الابتهاج ، بدا كأنما كان يتولّى بصعوبة عظيمة ..

وحنى الغرباء والصحفيون رؤوسهم ، وأخفوا وجوههم
بأيديهم ، وحاولوا التماسك بقوة لا يمكن وصفها ..

ثم فجأة انفجر الجميع في الضحك ، وحتى المحترم
(بيرجس) لم يستطع التماسك أكثر . واعتبر الحضور أنفسهم
وقد تم إعفاؤهم من الرسميات ، وقرروا الاستمتاع بهذه
المزية إلى أقصى حد .. وكان ضحكاً طويلاً لأذناً أنهاه
المحترم (بيرجس) .. الذي وجد هذه الكلمات الجادة :

« لا جدوى من مداراة الحقيقة .. هذه المسألة عظيمة

الخطر .. إنها تغنى شرف بلدتنا . إنها تصفع سمعتنا .. إن اختلاف الكلمات بين مستر (ويلسون) و (بيلسون) لأمر خطير لأنه يعنى أن أحد هذين السيدين أو كليهما ارتكب جريمة سرقة .. »

كان الرجلان يجلسان معدومى الحيلة ، لكن سماع هذه الكلمات جعل الكهرباء تسرى فيهما ، فقال الرئيس :

« اجلسا .. »

فأطاعا ..

« المشكلة الآن أن شرفيهما مغا فى خطر .. هل أتمادى فأقول إنهما فى خطر لا فكاك منه ؟ كلاهما لم يذكر الكلمات بالغة الأهمية .. »

ثم صمت حتى يستجمع الصمت تأثيره ، وأضاف :

« هناك طريقة واحدة يحدث بها شيء كهذا . إننى أسأل السيدين عما إذا كان بينهما تواطؤ ؟ »

ودوى صوت الناس يقولون :

« قد ظفر بهما معا .. »

لم يكن (بيلسون) معتاداً على الطوارئ لذا جلس معدوم الحيلة ، لكن (ويلسون) كان محامياً .. فهب شاحباً قلقاً وقال :

« إننى أطلب مهلة حتى أشرح هذه القضية الأليمة . يؤسفنى أن أقول ما سأقول لأنه سيسبب أذى لا يمكن إصلاحه لمستر (بيلسون) الذى طالما قدرته واحترمته .. والذى آمنت دوماً بأنه أقوى من أى إغراء . لكن إنقاذاً لشرفى يجب أن أتكلم .. وأعترف ببعض العار أننى قلت للغريب كل ما ذكر فى ورقة الاختبار .. وحين قرأت الخبر فى الجريدة قررت أن أطالب بحقيقة الذهب ، فهذا حقى تماماً . يجب أن تفهموا أن امتنان الغريب لى ليلتها لم يعرف حدوداً . لقد قال لى ليلتها إنه مستعد كى يرد جميلى ألف مرة .. لكنى لم أتصور قط أن يضعنى فى موقف حرج كهذا .. يجعلنى أردد كلمات تسىء لمجتمعى أمام قومى .. فى هذا الاجتماع الكريم ؟ كان هذا مستحيلاً . كان المفترض أن يحوى اختبارهم فقط الكلمات المهذبة التى بدأت بها كلامى .. لو كنتم مكانى لتوقعتم الشيء ذاته .. لن تتوقعوا هذه الخيانة والإساءة .. لهذا بكل أمانة كتبت على

ورفتى الكلمات الخيرة الأولى التى تنتهى بـ (اذهب وأصلح نفسك ..) ثم نادانى أحدهم فتركت الورقة قبل أن أضعها فى مظروف .. »

ثم استدار ونظر ببطء إلى (بيلسون) وانتظر لحظة ثم قال :

- « أظاہکم بأن تلاحظوا هذا .. حين عدت لمكتبى كان مستر (بيلسون) يفادر بابى .. »

فى لحظة كان (بيلسون) على قدميه يصرخ :

- « هذه كذبة .. كذبة مشينة !! »

قال الرئيس :

- « اجلس .. مستر (بيلسون) هو الذى يتكلم الآن .. »

وشد أصحاب (بيلسون) الرجل وأجلسوه .. بينما قال (بيلسون) :

- « تلکم هى الحقائق البسيطة .. وحين عدت للمكتبة كانت المذكرة فى موضع مختلف .. لكنى لم أعلق أهمية على هذا .. إن احتمال أن يقرأ (بيلسون) خطابات الآخرين

أمر لم يرد لى ببال .. لأنه كان رجلاً شريفاً .. والآن أنا الرجل الوحيد فى العالم الذى يستطيع أن يقول لكم محتوى الورقة بشكل شريف .. لقد انتهت كلمتى .. »

لا شىء فى العالم مثل خطبة جيدة يقدر على إرباك الجهاز العقلى وإفساد عواطف جمهور غير مدرب على حيل الخطابة ..

وقد جلس (بيلسون) راضياً عن نفسه بينما ارتجت القاعة بموجات التصفيق ..

وراح الأصحاب يصافحونه مهتئين ، بينما صرخوا فى (بيلسون) ولم يسمحوا له بكلمة واحدة ..

صاح المحترم :

- « ولكن دعونا نستمر يا سادة .. نستمر .. »

فى النهاية ساد صمت معقول .. وقال صانع القبعات :

- « وبم نستمر يا سيدى ؟ لم يبق إلا تسليم المال .. »

وتعلت صيحات الناس :

- « هذا حق .. تقدم يا (بيلسون) .. تقدم .. »

وحمل بعض المتحمسين (ويلسون) على أعناقهم
وتأهبوا لحمله إلى المنصة .. هنا تعالى صوت
الرئيس :

- « النظام ! عوبوا لمقاعدكم .. أنتم تتسبون أن هناك ورقة
يجب أن تقرأ .. »
ثم تذكر فقال :

- « نسيت .. ليس من حقى أن أقرأ هذه الورقة قبل
مطالعة كل المطالبات .. »

ثم مد يده لجيبه وأخرج ورقة نظر فيها بعناية .. بدا
عليه الذهول .. فصاح الناس :

- « ماذا هناك ؟ تكلم .. »

قال :

- « الملاحظة التى قلتها للغريب هى : أنت لم تتحدث إلى
مرتبة الأشرار .. اذهب وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(بنكرتون) مدير المصرف .. »

تحرر جحيم المرح من عقاله ، حتى أوشك الناس على

البكاء .. والصحفيون لم يعودوا يكتبون إلا (نبش فراح)
لا يمكن قراءته فى هذا العالم .. وهب كلب أفرعته كل هذه
الضوضاء فراح ينبع ..

وتصايح الناس :

- « نحن أثرياء !! رمزان للنزاهة !! حتى لو لم نحضر
(ويلسون) ! »

- « يالـ (ويلسون) البائس ! لقد كان ضحية لصين !! »
هنا تعالى صوت المحترم يأمر بالصمت ، وأخرج ورقة
جديدة وراح يقرأ :

- « الملاحظة التى .. وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(جريجورى بيتس) .. »

بوت الأصوات كالإعصار :

- « أربعة رموز للنزاهة !! »

نهض بعض الرجال التسعة عشر متجهين لممر الخروج ،
لكن الأصوات تعالت :

- « أغلقوا الأبواب ! لن يغادر أى رجل تزيه هذه القاعة !! »

- « الملاحظة التي وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(ستجرز) .. »

ثم :

- « الملاحظة التي وأصلح نفسك .. »

- « من ؟ من ؟ »

- « (نيكولاس وتورث) ! »

وراح الرجال يرتجلون أغنية لشرف (هادلبرج) الذي
لا يهتز ..

- « هلم .. استمر في القراءة . نحن نفال شهرة لاحد
لها ! »

هنا نهض ثلثا عشر رجلاً محتجين وقالوا إن هذه المهزلة
أعدها مهرج منبوذ .. وهي إهانة لكل المجتمع .. بالتأكيد
كل هذه التوقيعات مزورة ..

- « اجلسوا واخرسوا ! أنتم تعرفون ! سنجد أسماءكم
في هذه الأوراق ! ! »

نهض (رتشاردز) الابس ممسكاً بيد زوجته .. كان

رأسها محنياً حتى لا يرى أحد أنها تبكي ، وبصوت متحشرج
قل :

- « أصدقائي .. أنتم عرفتمونا جيداً أنا وامراتي .. طيلة
حياتنا .. وأحببكم أحببتمونا .. »

قاطعه رئيس الجلسة :

- « سمح لي .. كل ما تقول حقيقي .. هذه المدينة تحبكم ..
تحترمكم .. تعرفكم .. »

هنا صاح (هاليداي) :

- « لو كان هذا صحيحاً فليطن الجميع هذا .. هلموا ..
اعنوا هذا ! ! »

نهض الجميع وواجهوا الزوجين العجوزين وتطايرت
العناديل في الهواء كعاصفة جليدية .. هنا واصل المحترم
الكلام :

- « ما أردت قوله يا مستر (رتشاردز) أننا نعرف طيبة
قلبك .. لكن ليس هذا هو الوقت المناسب لممارسة الإحسان
تجاه المخطئين .. أنا أرى قصدك الطيب لكن لا يمكنك أن
تطلب الرحمة لهؤلاء الرجال .. »

- « لكني كنت ... »

- « أرجو أن تأخذ مقعدك يا سيدى .. يجب أن نفحص
باقى الأوراق .. فهذا أبسط عدل بالنسبة للرجال الذين
تم كشفهم .. فمتى تم هذا أعدك بأن نسمع ما تريد
قوله .. »

جلس الزوجان . وهمس الزوج فى أنها :

- « من المؤسف أن نضطر إلى الانتظار .. سيكون
العار أكبر حين يعرفون أننا كنا فقط نتوسل
لأنفسنا !! »

- « الملاحظة التى .. وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(روبرت تيمارش) .. »

- « الملاحظة التى .. وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(لوسكار وايلدر) .. »

- « الملاحظة التى ... وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(إيفالت ويكس) .. »

وهكذا راح اسم بعد آخر يتلى .. وراح الناس يقضون
وقتاً ممتعاً ما عدا التسعة عشر البائسين ..

وراح (ريتشاردز) البائس ينتظر اسمه فى رعب ويعد
الأسماء ..

اللحظة التى ينهض فيها ليكمل كلمته قائلاً :

- « حتى اللحظة نحن لم نتعرف خطأ .. مضينا فى
طريقنا واعتدنا الفقر . بلا ولد يعيننا .. لقد تعرضنا
للإغراء فزللنا . الآن أنهض وأتوسل لكم ألا يقرأ اسمى فى
هذا المكان العام .. هذه المرة الأولى التى أسمع فيها
اسمى ينفظ من شفيتين ساخرتين .. كونوا رحيمين بنا ..
واجعلوا عارنا أقل ثقلأ .. »

همست (مارى) له :

- « اتنبه . اسمك هو القادم . لقد قرأ ثمانية عشر
اسماً .. »

بحث المحترم (بيرجس) فى يده لدقيقة .. ثم قال :

- « يبدو أننا قرأناها جميعاً .. »

سقط الزوجان فى مقعديهما وقد كادا يفقدان الوعي من
المسرور ، وقالت (مارى) :

« سبحان الله ! لقد فقت ورقنا .. ما كنت لأستبدل بهذا ألف حقيقة ذهب ! »

بينما تعالت الأناشيد لأمانة (هادلبرج) والثمانية عشر رمزاً نبيلاً فيها ..

هنا نهض (ونجيت) صانع السروج واقترح أن يحبوا « أنظف رجل في المدينة .. المواطن المهم الوحيد الذي لم يحاول سرقة المال .. (إدوارد رتشاردز) .. »

وبالفعل حياهما الناس بحرارة ثم اقترح أحدهم أن يكون (رتشاردز) هو حامى حمى المدينة ورمز أمانتها .. وليقف بقوة يتحدى العالم الساخر في وجهه ..

هنا صاح أحدهم :

« ولكن .. من يأخذ الحقيقة إذن ؟ »

صاح صانع السروج :

« طبعاً للثمانية عشر رمزاً .. كلهم أعطوا الغريب عشرين دولاراً والملحوظة .. من حقهم استرداد الدولارات مع الفوائد ! »

هنا فتح المحترم الورقة الباقية من أوراق الغريب :

« لو لم يظهر من يطالب ، فإتنى أرغب فى أن تفتحوا الحقيقة وتعهدوا بما بها من مال إلى المواطنين الأساسيين فى بلدتكم ، ليستعملوها فى أفضل السبل لتقدم مجتمعكم والحفاظ على سمعته بالنزاهة التى لا تفسد .. النزاهة التى ستضيف أسماؤهم لها بريقاً لا ينطفى .. »

« ملحوظة : يا مواطنى (هادلبرج) .. لم تكن هناك ملحوظة .. لم يكن هناك غريب فقير .. ولا ورقة بعشرين دولاراً .. كل هذه اختراعات .. دعونى أحك لكم القصة الحقيقية .. »

« لقد مررت ببلدتكم منذ زمن ما ، وتلقيت إساءة لم أستحقها .. أى رجل آخر كان سيقتل واحداً أو اثنين منكم ويعتبر هذا هو العدل ، لكنى شعرت أن هذا غير عادل .. لأن الموتى لا يتعذبون .. وحتى هذا ما كان ليشبهنى .. أردت أن أؤذى كل رجل وامرأة فى هذه البلدة .. ليس فى أجسادهم بل فى غرورهم .. »

« لهذا عدت لكم متخفياً .. كنتم صيداً سهلاً .. كنتم مشهورين بالأمانة وكانت هذه قررة أعينكم .. كنز كنوزكم .. »

لاحظت أنكم تبعدون عن الإغراء فعرفت من أين أجم ..
إن أضعف مخلوقات الله هي الفضيلة التي لم يتم اختبارها
في النار .. كانت خطي هي أن أفسد (هادلبرج) التي
لا تفسد ..

« أردت أن أصنع كذابين ولصوصاً من رجال
لم يكذبوا في حياتهم ولم يسرقوا مليماً .. وآمل أن
أسحق غروركم وأعطيكم شهرة من نوع جديد ..
لو كنت قد نجحت فافتحوا الحقيقة وعينوا لجنة الحفاظ على
سمعة (هادلبرج) .. »

تصالح الناس :

- « افتحوا الحقيقة ! فليقدم الثمانية عشر رمزاً ! لجنة
الدفاع عن سمعة (هادلبرج) !! »

وفتحوا الحقيقة فلم يكن فيها إلا قطع من الرصاص ..
اقترح صانع السروج أن يتقدم الرموز ليأخذ كل منهم حقه
من هذا الرصاص ..

- « (ويلسون) .. (ويلسون) .. أنت الأول ! »

قال (ويلسون) في غضب :

- « اسمحوا لي أن أقول ودون اعتذار عن لغتي .. اللغة
على المال !! »

هنا قال صانع السروج :

- « اقترح سيدي الرئيس أن يتقدم الرجال لعمل مزايا
بضربين دولاراً على هذه الحقيقة .. على أن يعطى المال
فعللاً إلى الرجل الأمين الوحيد في هذه البلدة .. (إدوارد
ريتشاردز) .. »

وبدأ المزايا .. وتصاعدت الإثارة بينما العطاءات تتزايد .. حتى
وصل المبلغ .. مدفوعاً بالتحدى .. إلى خمسين دولاراً ..
ثم مئة ..

وهمس (ريتشاردز) لزوجته :

- « (ماري) .. هل نسمح بهذا ؟ إنها هدية
شرفية .. تقديراً لشرفنا .. فهل أقبلها ؟ ماذا نفعل
يا (ماري) ؟ »

وكان الثمن يرتفع حتى بلغ 250 دولاراً ..

قالت الزوجة :

- « (إدوارد) .. أنا .. لا أعرف .. لقد أفلتتا من إغراء
وهذا إغراء آخر .. لكن .. فكر في الأمر .. لا أحد
يشك .. »

الآن صار ثمن الحقيبة ألفاً . وهمست (ماري)
دامعة :

- « أوه فكر يا (إدوارد) .. نحن فقيران جداً .. لكن ..
تصرف أنت كما يحلو لك ! »

وجلس الرجل بضمير غير مستريح لكنه عاجز عن اتخاذ
قرار ..

هنا نهض غريب له ملامح المخبر الهاوى ، وقال :

- « ما من أحد من الثمانية عشر بيزايد هذا ليس
مرضياً .. لا بد من أن أغير هذا .. إن الضرورة الدرامية
تحتّم هذا .. يجب أن يشتروا الحقيبة .. بعضهم ثرى ويجب
أن يدفع .. »

ثم إنه اشترك في المزايدة . وصارت الحقيبة له عند
مبلغ 1282 دولاراً ..

تعالى الهتاف ثم توقف لأن الرجل قد وقف رافعاً يده .

- « أريد أن أقول كنمة وأطلب معروفاً ابني أهوى
الغرائب ولى اتصال بهواة العملات عبر العالم ، لكن
لدى طريقة - لو حظيت بموافقتكم - أقيم بها هذه الحقيبة
بما يساوى ثمنها ذهباً - اضعنوا لى موافقتكم وسوف أعطى
بعضاً من أرباحى لمستر (ريتشاردز) الذى أدركنا جميعاً
مدى استقامته هذه الليلة - سيكون نصيبه من الصفقة
عشرة آلاف دولار ، وسوف أعطيه المال اليوم . فقط
أرغب فى استفتاء عدم - فلو حصلت على أكثر من ثلثى
عدد أصواتكم لاعتبرت هذه موافقة - اسمحوا لى أن أنقش
على قطع العملة المزيفة هذه أسماء الثمانية عشر
الذين ... »

تعالى التصفيق - سب هبت ارموز تحتج على هذه
الإهانة .. وتهيد بأن ...

قال الغريب بهدوء :

- « أتوسس نكد ألا تهذبونى أنا أعرف حقوقى ولم أعتد
قط أن أخاف من التهديد .. »

هنا وجد الدكتور (هاركنس) الفرصة سانحة ، وكان من
أثرياء المدينة .. ربما الأكثر ثراء هو ومدير المصرف ..
وكان بين الرجلين سباق محموم .. كلاهما يحب المال ،
ويملك أرضا بلا حساب .. اتحنى على الغريب وسأله
همسًا :

- « ما الثمن الذي تدفعه للحقيرة ؟ »

- « أربعين ألف دولار .. »

- « سأعطيك عشرين .. »

- « لا .. »

- « قل ثلاثين .. »

- « الثمن هو أربعون ألف دولار .. ولا ملين أقل .. »

- « ليكن .. سنلتقى في الصباح في الفندق .. سألقيك

بشكل منفرد .. »

ونهض الغريب وقال للجمع :

- « أشكركم جميعًا على الموافقة على مطلبي .. لكنني

سأتصرف الآن وإبني أرجو الرئيس أن يحتفظ بالحقية لي معه

حتى للغد .. وأن يعطي هذا المبلغ لمستر (رتشاردز) .
غداً في التاسعة سأخذ الحقيرة وسأسلمه باقي العشرة آلاف
دولار في داره .. »

ثم انصرف تاركًا الجمهور يتناقشون في صخب .. ثم
عادت الأغنية تتردد ..

وفي منزلهما كن على آل (رتشاردز) أن يتحملا التهامي
والمجاملات حتى منتصف الليل . ثم بقيا وحيدتين . جلسا
صامتتين حزينتين في النهاية قالت (ماري) :

« هل تحسبنا نستحق النوم ؟ »

ثم نظرت إلى رزمة المال الموضوعه على المنضدة . لم
يبد (إيوارد) ، ثم قال في تردد :

« لم تكن في أيدينا حيلة . كان هذا مقدرنا لنا .. كل
شيء كان ... »

« هل تنوي البقاء في المصرف ؟ »

« لا .. »

« تستقيل ؟ »

« في الصباح .. نعم .. »

« ليس قراراً حكيماً .. »

« لم أكن أخشى أن أترك أموال الناس معي فيما
سبق . أما الآن فأنا متعب يا (ماري) .. متعب .. »

في التاسعة صباحاً طلب الغريب حقيته .. وفي العاشرة
تحدث معه (هاركنس) بشكل شخصي . وحصل الغريب
على خمسة شيكات لحامله .. أحدها بمبلغ 38.500 دولار ..
وضعه بعد التصرف (هاركنس) في مظروف مع مذكرة
كتبها بيده ..

وفي الحادية عشرة انطلق إلى بيت (رتشاردز) . طرق
الباب ففتحت له العجوز الباب .. ناولها الشيك واتصرف
بكون كلمة ..

شهقت المرأة وقالت لنفسها :

« بالتأكيد أنا أعرفه .. أمس بدا لي مأثوماً بشكل ما .. »

« هل هو الرجل الذي جلب الحقيبة هنا ؟ »

« أنا وثقة من ذلك .. »

« إذن هو أيضاً (ستيفنسون) المزيف الذي تلاعب
بالجميع .. وأعتقد أنه خدعنا كذلك .. إن هذا المظروف
لا يمكن أن يحوي باقي العشرة آلاف دولار ، حتى بأعلى قيمة
عملة معكنة .. ولو كان بالمظروف شيك فلا جدوى منه ..
شيك يحمل توقيع (ستيفنسون) ؟ لقد فررنا من الرجل
بمعجزة أمس وهو مصمم على أن يوقع بنا . »

هنا صاحت الزوجة :

- « لوه يا (إدوارد) ! يا للصوم ! »

كانت تحمل الشيكات في يدها ، وصرخت :

- « هلم أحرق هذا الشيك ! لا يجب أن نخضع للإغراء ..

إنها لعبة كي يسخر العالم منا ! أعطها لي مادام هذا ليس
بوسمك .. »

وكان قد دنا من النار فرفع الشيك بدرس التوقيع ، هنا صاح :

- « ألقيني يا (ماري) ! هذا الشيك صحيح ! به كاذب !

عليه توقيع (هاركنس) . والشيك لحامله .. »

- « ولكن لماذا يا (إدوارد) ؟ »

- « ربما كان الطبيب لا يريد أن ينتشر الموضوع .. ولكن

ما هذه المذكرة ؟ »

كانت مكتوبة بخط (ستيفنسون) المزعوم .. وكانت تقول :

- « أنا رجل خائب الأمل .. إن أملتك أقوى من أي إغراء ..

لقد تصورت العكس لكنني كنت مخطئاً . بنى أعلى من قدرك

وبكل إخلاص هذه البلدة لا تستحق أن تقبل حاشية ثوبك ،

وقد راهنت نفسي على أن هناك تسعة عشر رجلاً فاسداً في

هذه البلدة .. لكنني خسرت .. »



وكان قد دنا من النار فرفع الشيك بدرس التوقيع ..

تتهدد (إدوارد) وقال :

- « هذه كلمات كتبت بالنار .. بل وتحرق . (ماري) .. إنني
تصن بحق . لو كنت أستحق هذه الكلمات الجميلة ، والله يعلم
أنني حسبتي أستحقها يوماً ما . لاشتريت بالأربعين ألف دولار
هذه الورقة .. »

ثم وضعها في النار ..

جاءت رسالة فتناولها وفتحها . كانت من المحترم
(بيرجس) :

- « لقد أنقذتني في وقت عصير وأنقذتك أنا أمس ..
كان الثمن كذبة لكني قمت بها ممتناً .. لا أحد في القرية
كلها يعرف كم أنت نبيل طيب .. أعرف أنه في أعماقك
لن تستطيع احترامى بسبب التهمة التي أحاطت بي ،
لكنني على الأقل أمل أن تعرف أنني رجل لا ينسى
الإحسان .

نجا مرة أخرى ! ووضع الورقة في النار وقال :

- « (ماري) أتمنى لو كنت ميتاً . أتمنى لو ... »

بعد أيام بدأت الانتخابات .. كانت هناك لافتة على شكل
نسر ، تحمل على أحد وجهيها عبارة (أنت لم تتحدر إلى
مرتبة الأسرار تماماً) وعلى الوجه الآخر من
النسر عبارة (اذهب وأصلح نفسك . بنكرتون) ..
وهكذا اختصرت الجريمة في شخص واحد وضحك الناس
كثيراً ، وهكذا أيضاً كان الفوز في الانتخابات من نصيب
(هاركنج) ..

وكان ضمير الزوجين قد بدأ يهدأ بعد هذه الخطيئة ..
لكنهما تعلمتا درساً مهماً هو أن الخطيئة تكون مرعبة إذا
كان هناك احتمال ولو بسيط أن ينكشف أمرها .

كانا يذهبان إلى الكنيسة كل أحد ليسمعا ذات المواعظ
للمرة الألف ، حتى فقدت معناها بالنسبة لهما .. لكنهما في
هذه الأيام صارا يجدان المواعظ تلذغتهما بالاتهامات ..
كأنها موجهة خصيصاً لهؤلاء الذين يخفون خطاياهم عن
الناس .. ثم كانا يفران بعد القداس هاربين من شيء
لا يعرفان كنهه جيداً ..

ذات مرة قبلا (بيرجس) من بعيد فهزا رأسيهما له لكنه لم

يجب . لم يرهما ، لكنهما كادا يموتان قكاً .. ما سر هذا
التصرف وما معناه ؟

هل عرف (بيرجس) أن (رتشاردر) يعرف الدليل على
براءته لكنه لم يجسر على إعلانه ؟

هل كانت صيفته فى الخطاب ساخرة حين قال (أعرف أنه
فى أعماقك لن تستطيع احترامى بسبب التهمة التى أحطت بى) ؟
نعم .. هى بالتأكيد ساخرة ..

ثم أين الورقة التى كتبها ؟ هل يحتفظ بها ليهددنا بها
فى وقت ما ؟

وفى منتصف الليل تم استدعاء الطبيب لأن الزوجين
ليسا على ما يرام . قال الرجل إن السبب هو الضغط
العصبى الذى عاتياه بسبب الثراء المفاجئ .. بعد قليل
ازدادت الأخبار سوءاً .. إن الزوجين يخرفان بالفعل ..
وقالت الممرضات إن (رتشاردر) كان يبحث عن مكان
يخفى فيه شيئاً ..

أما اليوم فالأخبار أسوأ .. لقد أخفى الرجل الشيكات حتى

لا يحدث لها شيء . لكن حين بحثوا عنها لم يجدوها .. لقد
اختفت تماماً .. وقال المريض للممرضات :

- « دعن الوسائد وشئها .. ماذا تردين ؟ »

- « كنا نحاول .. »

- « لن تلمس الشيك أبداً .. إنما أرسله الشيطان لى ..
كى يدفعنى إلى الخطيئة .. »

وبالفعل لم يظهر الشيك ثانية قط ..

لكن هلاوس الرجل تزايدت ، وبدأت للممرضات يتكلمن ..
وقيل فى البلدة إن (رتشاردر) كان من المطالبين بالحقية ،
لكن (بيرجس) حماه ولم يقرأ ورقته . تعالت الأقاويل ..
لكن المحترم (بيرجس) قال لهم إنه من السخف تعليق
أهمية على هلوسة رجل سقيم ..

ثم تحولت الشكوك إلى إدانة صريحة ، وتخلت البلدة عن
ثقتها الشديدة فى أمانة العجوز ..

بعد ستة أيام جاءت أضرار أخرى . إن الزوجين يموتان .. وفى
هذه الساعات صفاء ذهن (رتشاردر) فأرسل فى طلب
(بيرجس) .

قال (بيرجس) :

« أدخلوا الغرفة أحسب لديه ما يقوله في خلوة .. »

« لا .. أريد شهوداً ! أريدكم جميعاً أن تسمعوا اعترافى ! كذا أموت كرجل لا ككلب .. كنت نظيفاً بشكل مصطنع مثل الآخرين . ثم سقطت في قبضة الإغراء حين جاء .. وقعت أكذوبة وزعمت حقى فى الحقيقة اللعينة .. تذكر (بيرجس) أننى قدمت له خدمة وعرفنا بالجميل ، أخفى طلبى وأقذنى .. تعرفون التهمة التى أحاطت بـ (بيرجس) منذ أعوام .. كنت شهادتى وحدها تستطيع أن تبرئه من التهمة ، لكنى جئت وتركته يواجه العار .. ثم بعدها فعل الشيء المبرر . لقد ندم على إنقاذى وفضحنى .. »

« لا .. أنا أقسم على هذا .. »

« وأنا أسامحك من قلبى .. »

ولم يصل احتجاج (بيرجس) لأننى المحتضر . لقد مات الرجل دون أن يعرف أنه أذى (بيرجس) اليائس مرة أخرى ..

فى الليلة ذاتها ماتت المرأة العجوز وجردت البلدة من آخر ما كان يستر مجدها القديم ..

لم يكن الحداد مبهرًا لكنه كان عميقاً وبقرار تشريعى سمح لـ (هاندسرج) بتغيير اسمها إلى (لاتحاول معرفته فلن أخرك به) ولم يبق لها إلا خاتمتها القديم .

المخبر العظيم

الجزء الأول

لا يجب أن نرتكب الخطأ حين يرانا الناس

1

المشهد الأول هو في الريف .. في فرجينيا .. والزمن هو العام 1880 .. كان هناك زوج وسيم نحيل وشابة ثرية .. قصة حب من أول نظرة وزواج سريع عارضه بمرارة أبو الفتاة الأرمل .

كان العريس هو (جاكوب فولر) في السادسة والعشرين من العمر ، من أسرة عريقة لكن لا صيت لها ، هاجرت من (سدجمور) طلباً لصدقة الملك (جيمس) .. هكذا يقولون .. البعض بسوء نية والبعض لأنهم يعتقدون هذا .. العروس في التاسعة عشرة من عمرها جميلة ، فخور بدمها النبيل وتحب زوجها الشاب بحرارة .. فمن أجله ضحيت برضا أبيها وتحملت عتابه ، وأصغت بإخلاص لتبؤاته دون أن تهتز .. وغادرت المنزل دون أن تتال بركاته .

صباح اليوم التالي للزفاف ، كانت مفاجأة سيئة تنتظرها .. لقد أراح زوجها ملاطفاتها جانباً وقال :

« اجلسي .. هناك ما أريد قوله لك .. لقد أحببتك .. كان هذا قبل أن أسأل أبك أن يمنحني يدك .. لم يكن رفضه سبب حزنى ولكن ما قاله لك عنى .. لا .. لا حاجة بك للكلام فأتنا أعرف جيداً ما قال .. أعرفه من مصادر موثوق بها .. قال ابنتى وراء ختم جبان .. وإن صفتى مرسومة على وجهى .. وإبنى قلن بلارحمة .. أى رجل آخر كان سيذهب لبيته ويطلق عليه الرصاص ككلب ، لكنى وجدت فكرة أفضل .. أن أجلسه بالعار وأحطم قلبه .. كيف هذا ؟ عن طريق معاملتى لك . ستزوجك . ثم ... تحلى بالصبر فلسوف ترين .. »

ومن هذه اللحظة ولمدة ثلاثة أشهر عانت الزوجة الشابة كل أنواع المهانة والعذاب التى استطاع عقل زوجها الخلاق أن يبتكرها .

لكن كبرياءها القوي جعلها تبقى متاعبها سرّاً . ومن حين لآخر يسألها زوجها :

« لم لا تذهبين لتخبري أبك ؟ »

ثم يبتكر المزيد من التعذيب .. ويسألها .. فتقول :

« لن يعرف من فمى أبداً .. »

وكانت تقول إنها ستحمل لكن ليس إلى ما لانهاية
يمكنه أن يقتلها إذا أراد لكنه لن يحطمها .

في نهاية الأشهر الثلاثة ، قل بلهجة توحى باتشر :

- « جربت كل شيء إلا شيئاً واحداً .. »

قالت له وهي تكور شفقتها في تهكم :

- « جربه إذن .. »

في تلك الليلة نهض في منتصف الليل . وقال لها :

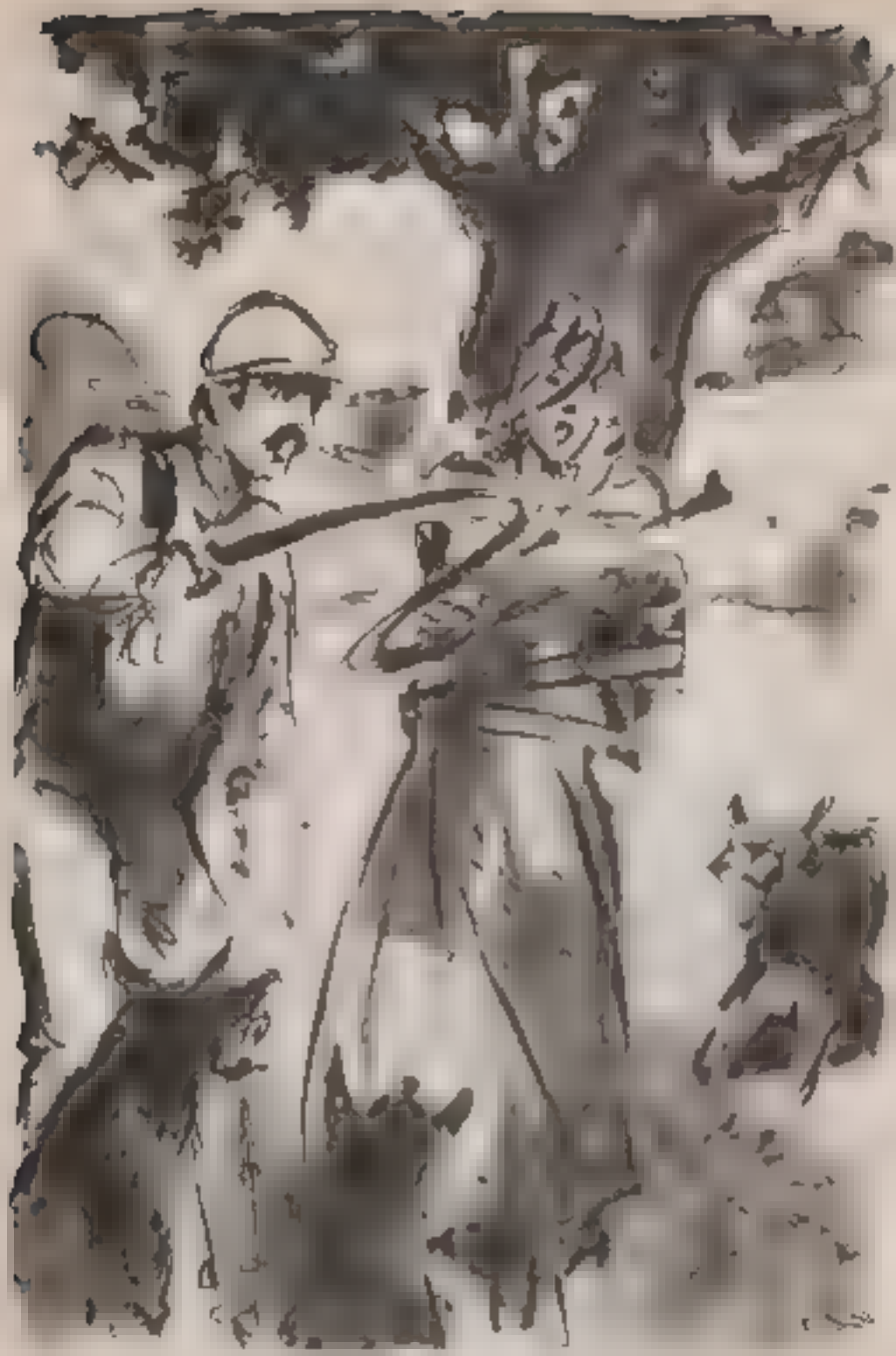
- « انهضى والبسي ثيابك .. »

أطاعت كعادتها دون كلام . فتكادها إلى مسافة نصف
ميل من البيت ، وقيدتها إلى شجرة على جانب الطريق ،
وهي تصرخ وتقاوم ضربها بالسوط على وجهها وأطلق
كلابه عليها .. حتى مزقت ثيابها

ثم إنه نادى كلابه وقال لزوجته :

- « سيجدونك خلال ثلاث ساعات من الآن سيرك الناس
في هذا المنظر المهين . وسوف يعلم الخبر . هل تسمعين ؟
وداعاً .. هذه آخر مرة ترينني فيها .. »

وابتعد ..



وقيدتها إلى شجرة على جانب الطريق ، وهي تصرخ وتقاوم
ضربها بالسوط على وجهها وأطلق كلابه عليها ..

راحت تكن بينها وبين نفسها ..

« إبنى حامل منه .. فليجعله الله ذكراً ! »

أطلق الفلاحون سراحها ، وكما هو طبعى انتشرت الأخبار فى كل مكان .. وراح الرجال يبحثون عنه عازمين على شنقه دون محاكمة ، لكن الطائر كان قد هرب .. وحبست الزوجة نفسها فى دار أبيها وحبس هو نفسه معها .

لقد تحطم كبرياؤه .. وكذا قلبه .. لذا راح يتلاشى يوماً بعد يوم .. وحتى ابنته سرت حين أراحه الموت .

بعدها باعت العقار واختفت .

2

فى العام 1886 كانت هناك امرأة تعيش فى بيت متواضع قرب قرية منعزلة فى (نيو إنجلند) ، لا يرافقها إلا طفل فى الخامسة .

كانت تقوم بعملها بنفسها ، ولم تشجع أحداً على أن يتعرفها ، فلم يكن لها معارف .. ولم يقطع الخبز ولا للجزار ولا كل من تعامل معها أن يخبر القرويين بشيء عنها إلا أن اسمها (ستيلمان) وطفلها اسمه (أرشى) .. من أين جاءت ؟ لم يستطيعوا معرفة هذا قط .. لكنهم قالوا إنها تتكلم كالجنوبيين ..

فى يوم قال (أرشى) لأمه :

« ماما .. هل أنا أختلف عن الأطفال الآخرين ؟ »

« حسن .. لا أعتقد هذا .. لم ؟ »

« هناك طفلة سألتنى إن كان ساعى البريد قد مر .. فقلت نعم .. سألتنى منذ متى رأيته .. فقلت إبنى لم أره قط وإنما شجعت راحته على الرصيف .. قالت إبنى أحمق غبى .. فلماذا فعلت هذا ؟ »

شحب وجه المرأة وقالت لنفسها :

« إنها علامة الولادة (الوحم) . هدية كلاب الصيد
حلت به .. »

واحتضنت الغلام بحرارة وقالت :

« لقد اختار الله طريقنا .. »

كانت عيناها تتلعمان بضوء وحشى وراحت أنفاسها
تتسارع من فرط انفعال .. قالت لنفسها

« الآن فهمت السر . لقد اتضح لى كل شيء .. »

وأجلسته فى حجرها وقالت له :

« انتظرنى قليلاً حتى أعود يا بنى . ثم سنعود للكلام
عن الأمر .. »

ذهبت لحجرتها وأخذت من منضدة تجمينها بعض الأنوار
وأخفتها .. مبرد أظفار على الأرض قرب الفراش . ومقص
تحت للمكتب . وفتاحة أوراق من العج تحت خزانة الثياب .
ثم عادت له وقالت :

« هناك بعض أشياء نسيتهها وكان على أن أجلبها .. »

أسرع للصبي يقوم بما طلب منه . ثم عاد بالأشياء فسألته :

« هل كان هذا صعباً يا عزيزى ؟ »

« كلا يا أماء .. فقط مشيت حيث مشيت أنت .. »

خلال غيابه كانت قد فتحت بعض الكتب ومررت يدها
على صفحة معينة من كل كتاب ، وحفظت الرقم فى
ذاكرتها .. ثم أعادت الكتب لمكانها وقالت له :

« قمت بعمل ما فى أثناء غيابك يا (لرشى) . . فهل تعرف
ماذا كان ؟ »

جرى الصبي ليحضر الكتب التى لمستها ، وفتحها على
ذات الصفحات

لخنته الأم فى حجرها وقالت :

« الآن أحيب عن سؤالك يا بنى . بشكل ما أنت مختلف
عن الآخرين .. يمكنك أن ترى فى الظلام وأن تشم ما لا يشمه
الآخرون .. إنك تملك مواهب كلب الصيد .. وهى مواهب جمعة
النفع لكن عليك أن تبقى هذا سرّاً .. فلو عرف الناس
بالأمر لاعتبروك طفلاً غريباً شاذاً ... ولا تطلق عليك الصبية
كافة الشكائم . فى هذا العالم على المرء أن يكون مثل أى
واحد آخر لو أراد ألا يجلب على نفسه الاحتقار أو الغيرة .. »

وعدها الطفل فى غير فهم ..

وطيلة اليوم ظل عقل المرأة يعد آلاف الخطط والمشاريع
كلها خارقة شريرة .. لكنها أضاعت وجهها بضوء خاص ..
بنيران جحيم غامضة .. لم تقدر على الجلوس أو القراءة
أو النوم ..

جربت قدرات ابنها بعشرين طريقة مختلفة .. وكادت تفكر :

- « لقد حطم قلب أبى .. وجربت طيلة هذه السنين أن
أحطم قلبه عبثاً .. الآن وجدت السبيل .. وجدت السبيل .. »
حين خيم الممساء ، كان شيطان القلق مازال يستبد بها ..

لقد استمرت فى تجاربها وأخفت أشياء عديدة فى
البيت .. وأرسلت ابنها فى الظلام ليأتى بها .. وكم كان
فخره حين أطرت عليه ولاطفته معبرة عن إعجابها .

منذ هذه اللحظة صار للحياة وجه جديد .. وقالت لنفسها :

- « إن المستقبل مأمون .. يمكننى أن أنتظر ، وأستمتع
بالانتظار .. »

عادت للموسيقا والرسم وكل الميَاهج التى أهملتها ..
ومن جديد استعادت مسرقت الحياة ..

مرت الأعوام وهى ترقب نمو الصبى راضية ..

لكن الجزء اللين من قلبه كان أكبر من الجزء الصلب ..
كان هذا عيبه الوحيد .. لكنها قدرت أن هيأه بها سيعوض
هذه النقطة .. كان يعرف كيف يكره وقد طمأنها هذا قليلاً ..
مضت الأعوام ، وصار (أرشى) شاباً رياضياً وسيماً ..
معتزاً بكرامته .. تسرك رفقته .. يبدو أكبر من عمره الذى
هو الخامسة عشرة ..

ذات ليلة أخبرته أمه أن لديها شيئاً خطراً تقوله له ..
قالت إنه صار كبيراً بما يكفى كى يسمع ما ستقول ، وكى
ينفذ الخطة التى رتبها بصبر ..

ثم أخبرته القصة المريرة بفظاعتها .. وشل الفتى
للحظات بينما قالت :

- « نحن جنوبيان .. وليس لدينا إلا شيء واحد نعوض به
ما حدث .. أن نجده ونقتله .. نقتله ؟ كلا .. الموت راحة ..
الموت تحرر .. الموت معروف وأنا لن أسدى له معروفاً ..
لا يجب أن تؤذى شعرة من رأسه .. »

قال الفتى بعد تفكير :

- « أنت كل العالم بالنسبة لى .. ورغباتك هى القانون ..
قولى ما على أن أفعله .. »

- « ستبحث عنه .. أعرف أين يختبئ منذ أحد عشر عاماً .. اقتضاتى هذا خمس سنوات ومالاً كثيراً .. إنه يستخرج الكوارتز فى (كولورادو) .. وأحواله المادية طيبة .. إنه يعيش فى (دنفر) واسمه (جاكوب فولر) .. أول مرة ألفظ فيها اسمه منذ تلك الليلة التى لا تتسى .. تذكر ! هذا الاسم كان سيكون اسمك لو لم أجنبك هذا العار وأهبك اسماً آخر .. ستبعده عن مكانه .. ستصطاده .. ستطارده .. ستسمع حياته .. تملؤها بأهوال غامضة .. تملؤها بالتعب والتعاسة .. تجعله يشتهي الموت فلا يناله .. لن يعرف الراحة ثانية .. لن يهدأ باله .. لن ينام نوماً مريحاً .. ستطارده حتى تحطم قلبه كما حطم قلب أبى .. »

- « أمرك يا أمى .. »

- « أنا واثقة من هذا أى بنى .. كل شيء جاهز .. هنا خطاب اعتماد لرصيد مصرفى .. أنفق بحرية .. فلا يعوزنا المال .. ولو احتجت إلى أدوات تنكر فقد أعدتها لك .. »

وأخرجت من الدرج بعض الأوراق كلها تحمل هذه الكلمات بالآلة الكاتبة :

يعتقد أن رجلاً مطلوباً فى الولايات الشرقية يقيم هنا بشكل مؤقت . فى عام 1880 قيد زوجته إلى شجرة على الطريق النعام ليلاً وضربها بالسوط على وجهها . وجعل كلاله تمزق ثيابها . ثم إنه هرب من البلاد . إلا أن أحد أقاربها قد بحث عنه سبعة عشر عاماً . عنوين والجائزة المذكورة أعلاه ستقدم لكل من يقدم عنوان المجرم لمن يبحث عنه .

وقالت لابنها :

- « حين تجده وتتعرف رائحته .. ستذهب ليلاً لتلصق هذا الإعلان على بيته .. سيكون هذا الإعلان موضوع كلام المنطقة كلها . أترك له بضعة أيام حتى يبيع ممتلكاته بسعر معقول . سنخربه بالتدريج .. حتى يقط ويموت .. »

ثم أخرجت أوراقاً أخرى كتب عليها :

إلى جاكوب فولر :

لديك يوم كى ترتب أمورك . لن يضايقت أحد حتى تنتهى المهلة فى . / . / . وبعد ذلك يجب أن ترحل . ولو بقيت حيث أنت بعد الوقت المذكور ، سأعاقب على كل جنران المدينة قصة جريمته كاملة مع الأسماء والتواريخ . لقد جنب الموت لرجل عجوز وحطمت قلبه ، وسوف تعاني ما عاتاه

وقالت لابنها :

- « لا توقع .. يجب أن يتلقى هذه قبل أن يعرف بإعلان
الجائزة .. حتى لا يجن ويفقد المكان في الحال .. »

- « لن أسمع .. »

- « سوف يطيع الأوامر .. هذا أكيد .. »

★ ★ ★

3

من الخطبات الموجهة للأم :

دنفر - 3 إبريل 1897

منذ أيام أعيش في ذات الفندق مع (جاكوب فولر) ..
شممت رائحته ، وبوسعى أن أجده وسط كتبية مشاة .. لقد
دنوت منه مراراً وسمعت يتكلم .. إنه يملك منجماً ممتازاً
يدر عليه عائدًا طيباً . إلا أنه ليس ثرياً .

إنه رجل مرح لا تبدو عليه أعوامه الثلاثة والأربعون ..
لم يتزوج قط ثانية ويعتبر نفسه أرمل .. إنه محبوب وله
شعبية .. ويبدو أن الدم الأبوي في عروقي يطالب بحقه ،
لأنني بدأت أنجذب إليه نوعاً .. يا لغباء وعدم معقولية
بعض طبيعنا .. لكثرتها في الواقع !

لقد صارت مهمتي أصعب وبدأت نيران الكره تتطفئ ، لكنني
سأقوم بالمهمة .. حتى ولو ذهبت المنة فإن الواجب يبقى .
وبه مما يثير حفيظتي أن أتذكر أن من ارتكب هذه الجريمة
الشنيعية لم يقنص من تبعاتها .. يبدو أنه تعلم دروساً وقد تغيرت
شخصيته ، وهو راض عن هذا التغيير .. هو الآن لا يشعر بشيء

بينما - أنت الضحية - تحملين كل ويلات الجريمة على
رأسك ..

لكن لا تقلقى .. فلم سوف يحصد نصيبه من العقاب .

سيلفر جالش 19 مايو :

قمت بالتصاق الإعلان فى منتصف ليلة 3 أبريل ، وبعد ساعة
نسست للنموذج رقم 2 تحت باب غرفته . وفكرته بأن يغادر
(دنفر) قبل منتصف ليل الرابع عشر من الشهر .

يبدو أن أحد الصحفيين الساهرين وجد ما وضعته .. هكذا
حصل على معلومات قيمة وملا (المفرفة) كما يصفون هذا
العمل فى مهنته .. وتأكد من أن أية جريدة أخرى لن تعرف
ما عرفه ، هكذا صدرت الجريدة وعلى صفحتها الأولى هذه
الأخبار بنيت عريض مع مقال تحليلي ملتهب ، ثم أضافت
لصحيفة ألف دولار إلى مكافئتنا السابقة ! إن الصحف هنا تعرف
كيف تفعل أشياء نبيلة حينما تكون هناك منفعة مادية من
هذا .

فى الصباح اخترت مقعدى الذى يعطينى نظرة واضحة
على وجه بابا (فولر) ..

كن هناك نحو خمسة وسبعين أو مائة رجل فى الغرفة ..
وكلهم يناقش الموضوع ، ويتمنى أن يجد الباحث الوغد
وينتظف المدينة من وجوده الملوث .

وحين وصل (فولر) كان نموذج طلب الرحيل مطويًا فى
يده ، والحريذة فى الأخرى . لقد ولى المرح من وجهه
وبدا عجوزًا شاحبًا . ثم فكرى الآن فى الأشياء التى عليه
أن يسمعها !

لقد سمع أصدقاءه غير المرتابين يصفونه بنعوت
مأخوذة من قواميس الشيطان غير المسموح بتداولها ،
والتي يحتفظ الشيطان بها تحت الأرض .. والأسوأ أنه كان
يجب أن يقر الاتهامات ويهمل لها .

كن من الواضح أن شهيته تبخرت .. فقط كان يقرض
الخبز ، وقال له رجل :

- « من المحتمل جدًا أن هذا القريب فى الغرفة معنا ،
يسمع ما تفكر فيه هذه البلدة بصدد ذلك الوغد .. أتمنى
هذا .. »

من المثير للشفقة أن ترى كيف أن (فولر) هب واقفاً ..
ولم يعد يحتمل المزيد .

لعدة أيام أشاع أنه ابتاع متجماً في المكسيك ، ويريد بيع كل شيء والرحيل إلى هناك بأسرع ما يمكن .
40.000 دولار وهو ربع الثمن نقداً ، والباقى سياتخذ في النهاية باع بثلاثين ألف دولار .

كنت أراقب كل هذا طيلة الوقت ، فما إن تمت الصفقة حتى التصقت بطريق (فولر) دون أن أدركه لحظة .. وبعد منتصف ليلة اليوم الحادى عشر من الشهر ، ذهبت لحجرتى التى كانت تبعد عن غرفتى بأربع غرف فى ذات الردهة ، ثم ارتديت ثياب التنكر التى جعلتنى أبدو كعامل فى يوم موحد مطير .. وجلست فى حجرتى فى الظلام بحقيبة صغيرة وبابى شبه مفتوح .. لأننى قررت أن الطير قد بفر الآن ..

بعد نصف ساعة مرت امرأة تحمل حقيبة .. فشمت رائحة مميزة .. وتبعتها لأدرك أن هذا (فولر) .. لقد ترك الفندق ومشى فى شارع غير مطروق ، تحت أمطار ضعيفة وظلام دامس ، ثم استقل عربة يجرها حصانان ، كانت تنتظره حسب موعد .. اتخذت مقعدى بلا دعوة على مؤخرة العربة وانطلقنا مبتعدين . ثم توقفت العربة عند محطة القطار وانصرفنا .

جلس (فولر) تحت مظلة فدخلت وراقبت شبك التذاكر .. لم يبتع (فولر) تذاكر وكذا أنا ..

جاء القطار فاستقل عربة ، وركبت أنا ذات العربة عند نهايتها وجلست خلفه ، فلما ذكر وجهته للمحصل ابتعدت أنا للوراء بضعة مقاعد .. ودفعت ثمن تذكرة للمكان ذاته ..

ومنذ هذا الوقت ولمدة أسبوع كان كلنا يقوننى فى روضة .. راح يسافر هنا وهناك .. دقماً باتجاه الغرب ، لكنه لم يرتد ثياب امرأة قط بعد هذا .. لقد تنكر فى ثياب عامل مثلى وثبت شارباً مستعزاً زرقاً .. كان بارعاً وحتى أقرب لأصدقائه ما كان ليتعرفه .

أخيراً أقام هنا .. أكثر المصكرات الجبلية توارياً فى (مونتانا) .. إن لديه كوخاً ، وهو يتجنب المجتمعات .. أعيش فى منزل يعمل مناجم . وهو مكان لا يطاق .. الفراش .. الطعام .. القذارة .. كل شيء ...

الآن لنا هنا أربعة أسابيع ، وفى هذا الوقت رأيته مرة .. بمجرد أن اطمأنت على أنه مستقر ، حتى أبرقت إلى (بنفر) كى يبقوا متاعى عندهم إلى أن آتى لأسترده ..

لا حاجة بى لمتاع هنا إلا القمصان وقد جلبت بعضها معى ..

سينفر جانش 12 يونيو :

لم تصل قصة (دنفر) إلى هنا أنا أعرف جل الرجال ولم يشيروا لها قط . لا بد أن فولر يشعر بأمن تام .

لكن شد ما تغير ! لم يعد يبتسم ولا يتكلم . هو الذى كان مولعا بالصحبة منذ شهرين ، رأيتة يمشى عاسيا وقد راحت الخفة الوثابة من خطواته .. وهو يطلق على نفسه اسم (ديفيد ويلسون) ..

لو لم نضايقه سيظل هنا أبدا . لكى ساضايقه ، وإن كنت لا أعرف كيف يمكنه أن يكون اتص من هذا ..

سأعود إلى (دنفر) لأنعم بحمام وأستبدل ثيابه وأكل طعاما محترما .. ثم أسترده متاعى ..

دنفر 19 يونيو :

يفتقدونه هنا : ويتمنون أن تكون أحواله طيبة فى المكسيك .

أعترف أننى ألكأ هنا . لكن لو كنت مكاتى لشعرت بالشفقة على ..

لكن لو كنت مكاتك بكل هذه المرارة فى قلبى ، لشعرت بما تشعرين به .. سأخذ قطار الليل عائدا فى الظ .

دنفر 20 يونيو :

ليسامحنا الله ! أنا وأمى نطرد الرجل الخطأ !

لم أتم طيلة الليل .. أنا الآن فجرا أنتظر القطار ولكم تتأقّل الدقائق .. كم تتأقّل !

إن (جاكوب فولر) هو ابن عم للمنتب . كم كنا أغبياء حين فكتنا أن المنتب ما كلن ليحتفظ باسمه بعد هذا العمل الشيطانى !

إن (فولر) (دنفر) أصغر بأربعة أعوام من الآخر .. جاء هنا وهو أرمل عام 1879 . وكان هذا قبل زواجك بعدم . وكل الوثائق تثبت هذا . أمس تحدثت مع أصدقاء له عرفوه منذ جاء هنا . لم أقل شيئا لكنى سأعيده لبلدته ثانية وأعوض ما خسره فى منجمه .. ستكون هناك مأدبة وموكب تحفه المشاعل . ولن ينفق أحد مليما سواى . تسمين هذا مبالغة فى العواطف ؟ ربما . فلا تنسى يا أماه أنى صبى .. وأننى لن أعود صبيا ثانية .

أماه .. لقد رحل ! رحل بلا أثر !

لقد زالت الراحة لدى وصولي .. أتمنى لو لم أكن غلاماً .. كي أتحمّل الصدمات بشكل أفضل .. الجميع يعتقدون أنه رحل غرباً . سأرحل الليلة .. لا أعرف إلى أين .. لكن البقاء ساكناً حيث أنا هو تعذيب لا أكثر ..

بالطبع منح نفسه اسماً وتكرراً جديدين .. هذا يعني أنني قد اضطر لتفتيش كل الكرة الأرضية بحثاً عنه . هل ترين يا أمي أنني صرت الآن (اليهودي القاتل) ؟ هل تدركين ما في هذا من سخرية ؟ كنا قد أعدنا هذا المصير لواحد آخر ..

يحب أن أجده .. إن لك عقلاً أفضل من عقلي فساعديني ..

لدي دليل واحد . واحد فقط .. أنا أعرف خطه .. ولو وضع اسمه المزيف الجديد في دفتر نزلاء فندق ، سأعرفه على الفور لو رأيته .

تعرفين كيف فتشت الولايات بعناية من (كولورادو) حتى المحيط الهادي .. وكيف كدت أظفر به مرة ..

كان هذا هنا .. أمس .. شممت رائحته في الشارع ، وتتبعها إلى فندق رخيص . كان هذا خطأ باهظاً . فأى كلب كان سيتجه في الاتجاه العكسي .. لكني جزء من كلب ويمكن أن أنصرف بقاء كالبشر حين أتوتر .

لقد أقام في هذا الفندق عشرة أيام ، وهو لا يبقى في أي مكان فترة طويلة . مازال يستعمل الاسم الذي كان يحمله حين كدت أجده منذ تسعة أشهر (جيمس ووكر) .. لا بد أنه الاسم الذي اتخذه حين فر من (جالش) .

إنه رجل بسيط لا يهوى الأسماء الزناة .

قالوا لي إنه ارتحل منذ ساعات في رحلة ولم يترك عنواناً . ولم يقل إلى أين هو راحل . لم يكن معه من متاع الإحذية رخيصة يحملها يوماً ..

- « عجوز بخيل شحيح ولن يسبب خسارة للفندق »

عجوز ؟ اعتقد أنه كذلك الآن ..

خرجت أقتفى أثره فافتادنى إلى رصيف الميناء .. أماء ..
إن دخان القارب البخارى الذى أخذه كن يتلاشى من الأفق !
كنت سأدخر نصف ساعة لو حشيت فى الطريق العكسى من
البداية ..

إن هذه السفينة تتجه إلى (ملبورن) فى (أستراليا) .

وادی الأمل كاليفورنيا 3 أكتوبر عام 1900 :

من حقتك أن تشكى .. إن خطاباً واحداً فى العام هو شح
حقيقى . لكن ما عسى المرء يكتبه إن لم يكن لديه ما يحكيه
إلا الفضل ؟

حكيت لك كيف فقدت الرجل فى (ملبورن) ، وكيف بحثت
عنه فى أستراليا كلها ..

حسن بعد هذا تبعته إلى الهند .. وكدت أقابله فى
(بومباي) .. (كلكتا) . (روالبندى) .. كل مكان .. أسبوعاً
بعد أسبوع .. وشهراً بعد شهر .. فى كل مرة أكاد أعمسه
لكنى لا أظفر به أبداً ..

ثم تبعته إلى . لا عليك .. سأحكى هذا بالتفصيل فيما بعد ..

تبعته إلى (كاليفورنيا) .. فالمكسيك .. فكاليفورنيا ..
أعتقد أنه ليس بعيداً عن (وادى الأمل) ..

لنا متعب حتى الموت يا أمى .. واشربيت من اليأس النهائى .
لكن عمال المناجم هنا قوم طيبون .. وطريقهم لمرحة الطلقة
تنعش للمرء وتجعله ينسى متاعبه .

أعيش منذ شهر مع فتى يدعى (سامى) (لو (هيليار) .. فى
الخامسة والعشرين من عمره ، والابن الوحيد لأمه .. مثلى ..
يكتب لها كل أسبوع ..

إنه فتى لطيف لكن من ناحية الذكاء يمكنه أن يشغل النار
فى نهر .. لكن لكل يحبه . والجلوس معه يشعرك بأنك تأكلين
عيشاً وملحاً ولحماً . ولكم أشفق على (جيمس ووكر) .
لقد كان يحب الصحبة . وله أصدقاء كثيرون .

إن قلب (هيليار) أنظف من قلى .. أنظف من قلب كل
من فى الجوار .. وهو لصديق الوحيد لوصمة عار المصكر
للمدعو (فلينت باكنر) . والرجل الذى يكلمه (فلينت)
أو يسمح له بالكلام معه ..

فى إحدى المحادثات قال لى :

- « (فلينت) قريب لى .. وهو يصب كل متاعبه عدى ..

إن صدره يوشك على الانفجار بما فيه من أسرار .. لا يوجد رجل أكثر منه تلعساً يا (لرشي) .. حياته سلسلة من المشاكل وقد فقد الشعور بالراحة والسلام .. الأعوام تمضي .. وهو لا يعرف ما معنى الحظ الحسن فهو لم ينل قسطاً منه قط .. ويقول دوماً إنه راغب في أن يجرب الجحيم الآخر .. فقد سئم هذا الجحيم .. »

★ ★ ★

4
ما من سادة مهذبين يذكرون الحقيقة العارية في وجود سيدات كان يوماً عطرًا نضراً في أول أكتوبر . وقد أضيئت زهور الليلك بنيران الخريف المجيدة ، معلقة تتوهج في الهواء .. وعبق الزهور الموسمية يرتفع في الهواء وفي كل مكان تجد الصمت والهدوء والسلام الإلهي .

الوقت هو أكتوبر .. 1900 .. (ولدى الأمل) هو المكان .. منجم للفضة بعيداً في منطقة (إزميرالدا) . إنه موضع بعيد منعزل يعتقد سكانه أنه ملئ بالمعدن الثمين .. ولسوف يعرفون هذا بعد عام أو عامين من التنقيب .

بالنسبة للسكان يحوى المعسكر مائتى عامل تجيم ، وامرأة بيضاء وطفلها ، وعدة صينيين يقومون بالفسيل ، ودسته هنود بلا قبيلة يلبسون جلد الأراتب .

لا توجد طواحين هنا ولا كنيسة ولا جراند . إن المعسكر أنشئ منذ عامين ، فلم يسمع العالم شيئاً عن اسمه ومكانه . هناك تقف الجبال شامخة حول مجتمع من الأكواخ ، ليس فيه ما يستحق أن تدعوه بيتاً إلا الخان . إن الخان يقع في

منتصف الموقع وهو ملتقى الناس ليلاً . هناك يلتقون ويشربون ويلعبون النومينو ولد (سفن أب) .. وربما يلعبون بعض البلياردو كذلك ..

كان كوخ (فليينت بكنر) يقع جنوباً ، وهو أحدث كوخ تم بناؤه . كان الرجل نفسه شخصاً فظاً غير اجتماعي بلا رفقة . وكل من حاول تعرفه ندم على ذلك . ولم يكن تاريخه معروفاً ، وإن زعم البعض أن (سامي) يعرفه ..

كان معه شاب في السادسة عشرة من عمره اسمه (فتوك جونز) . وكان الشاب يقول إن (فلنت) وجدته شريداً ، وقد وحدته من الحكمة أن يبقى مع (فلنت) برغم معاملته القاسية له لأن الفتى بلا أقرب ولا أصدقاء .. على الأقل من أجل الراتب الذي لم يزد على الفاصوليا واللحم المقدد .

فيما عدا هذا لم يكن لديه ما يضاف ..

حاول الناس أن يساعدوا (فتوك) وحاولوا إقناعه بترك (هاكنر) لكن الفتى خاف من الفكرة ..

ألح عليه (بات رايلي) قائلاً :

« اترك الأحقق العجوز وتعال معي . لا تخف .. لسوف أعني به .. »

شكره الصبي دافعاً وقال :

« لا أجزؤ على هذا .. إن التفكير في هذا يشعرني بالفتيان يا مستر (رايلي) .. »

لم يفهم القوم هذا الموقف . لقد استمرت تعاسة الفتى أسبوعاً بعد أسبوع . لكن لو عرف الناس كيف يمضي وقته لفهموا .. كان بيت خارج الكوخ يجتر جراحه وكدمات جسده وكرامته ، ويفكر في الطريقة التي يقتل بها (فليينت) من دون أن يقبض عليه .

كانت هذه مسرته الوحيدة في الحياة ، والساعات الوحيدة التي يتطلع إليها طيلة اليوم .

فكر في السم .. لكن هذا لا يصلح .. سيعرف المحققون من أين جلبه ومن فعل هذا ..

فكر في طنقة في الظهر ، لكن ربما كان هناك أحدهم قريباً ..

فكر في طعن الرجل وهو نائم ، لا . ربما جاءت ضربته غير موفقة .. وأمسك به (فليينت) ..

فكر في مائة طريقة ، وكلها غير صالحة .. في كل منها مخاطرة أو فرصة أو احتمال القبض عليه ..

لكنه كان صبوراً .. صبوراً بلا نهلية .. لا داعي للعجلة ..
فلن يفارق (فلينت) إلا جثة هامة .. إن الحل في مكان ما
ولسوف يتحمل الألم والإهانة حتى يظفر به .

في مكان ما توجد طريقة أكيدة وبلا خطر ، وعندها ستبدأ
بهجة الحياة ' وحتى ذلك الحين سيحافظ على صورة
الخنوع الخاضع أمام القوم .. ولن يدع أحداً يسمع منه
كلمة سوء في حق معذبه ..

قبل نهار أكتوبر الذي تكلمنا عنه بيومين ، ابتاع (فلينت)
بعض الأشياء لكوكه جلب صندوقاً من الشمع .. وعلبة
من البارود ولغة فتيل .. وقدر (فتلوك) أن أعمال (فلينت)
في المنجم دنت من ثروتها ..

كان قد رأى التفجير من قبل . لكنه لم يعاون فيه قط .

في الصباح حمل الاثنان الفتيل والمثقاب وعلب البارود .. كل
ارتفاع للمنجم ثمينة لأدم ، ولهذا كنا بحاجة إلى سلم قصير .

نزلا .. وبناء على الأوامر حمل (فتلوك) المثقاب دون أية
تعليمات عن طريقة حمله .. وهكذا طار المثقاب من يده :

- « يابن الزنجى الأجرى !! هل هذه طريقة حمل مثقاب ؟
التقطه .. قف ! سادبرك !! »

وبدأ الصبي يصب البارود في الحفرة ..

- « أحمق !! »

وهوت ضربة قوية على فكه أوقعته أرضاً .

- « أولاً ثبت الفتيل .. ثم ضع البارود .. توقف ! توقف
هل تتوى أن تملأ الحفرة كلها ؟ ضع بعض التراب .. ضع
بعض الحصى .. قف .. قف ! »

وراح يدك الشحنة بنفسه .. وهو مازال يلعن وينطق
بعبارات التجديف كأنه شيطان . ثم لأنه أشعل الفتيل وخرج
من النفق ثم ابتعد خمسين ياردة .. وتبعه (فتلوك) ..
ووقفاً بعيداً ينتظران ..

اندفعت سحابة من الدخان والسخور في الهواء ، مع انفجار
كالحرعد .. وبعدها نهمر شلال من السخور . ثم عاد الهدوء .

قال الصيد :

- « وددت من الله لو كنت أنت في هذا الانفجار !! »

ونزل الرجلان الفتحة ونظفاها ، ثم حفرا ثقباً آخر ..

- « كم من الفتيل تتوى تبديده ؟ ألم تتعلم كيف تضبط
زمن الاشتعال ؟ »

- « نعم يا سيدى .. »

- « لا تعرف ؟ أنت تفوق أى شيء رأيته .. »

ثم خرج من الفتحة وصاح :

- « حسن يا أحمق ! هل ستبقى هنا كل اليوم ؟ اقطع

الفتيل وأشعله .. »

ثم به فى غضبه حمل السلم وجرى مبتعداً ، فأصيب الفتى بالهلع وقد وجد نفسه وحيداً فى الحفرة التى ستفجر حالاً .

ترجع للحائط ، وقد أثار الصوت فزعه .. وقف عاجزاً عن التفكير أو العمل .. بعد ثوان سيطير فى السماء وقد تحول إلى قطع ثم جاءت فكرة . جرى إلى الفتيل واسترع البوصة التى بقيت فوق الأرض .. وهكذا نجا ..

بعد خمس دقائق زحف (باكتر) إلى الحفرة .. كان قلقاً لا يفهم . واختلس النظر إلى داخلها .. هنا فهم ما حدث .. أنزل السلم فى الحفرة فزحف الصبى نحوه بوهن ، كان غاية فى الشحوب وفى مظهره ما زاد من قلق (باكتر) ..

قال (باكتر) فى نوع من الندم :

- « كان حادثاً كما تعلم .. لا تقل شيئاً عن هذا لأى واحد .

كنت متحمساً ولم أدرك ما أفعله . أنت لا تبدو على ما يرام .. توجه إلى كوخى وكل ما تريد واسترح .. هذا حادث لا أكثر .. »

قال الفتى :

- « لقد فكرت رعبى . لكنى تعلمت شيئاً جديداً .. فلا تضايق نفسك .. »

راح (باكتر) يتابعه بعينه ..

ترى هل يتكلم ؟ ليت الانفجار قتله ..

لكن الفتى لم ينتهز الفرصة ليستريح ، بل راح يعمل .. فى حملة وسعلاة .. كتبت هناك أجمة من الشجيرات قرب كوخ (فلينت) . وكان جل عمل الفتى فى الظلمات العنيدة لهذه الأشجار . والتقى تم فى كوخه . فى النهاية تم كل شيء وقال :

- « لو شك فى أننى سأحير الناس عنه سأعرف هذا سريعاً . سيتأكد من أننى ما زلت ذلك المعنوه النكرة كما كنت دوماً .. لكن ليلة بعد غد هى نهيتة . ولن يعرف أحد من قتله ولا كيف تم هذا . لقد أعطانى الفكرة بنفسه وإن هذا لغريب . »

وجاء اليوم التالي ورحل ..

إنه الآن منتصف الليل تقريباً ، وبعد خمس دقائق يبدأ اليوم الجديد . المشهد هو غرفة البلياردو في الخان . رجال خشنو المظهر في ثياب خشنة .. بعضهم بستررات ولا معاطف .. كلهم مجتمع حول الموقد لأحر الخدين يبعثر اللهب البهيج .

كرات البلياردو ترتطم .. والرجال يبدو عليهم السلام والترقب .. هناك عامل مناجم ضخّم للكتفين في منتصف العمر ، ذو نظرة غير ودود .. ينهض ويلف لفة من الفتيل حول ذراعه .. يجمع بعض أشياء خاصة به ثم يرحل دون كلمة أو تحية . إنه (فلنت باكنر) ..

فما إن انطلقت الأبواب خلفه حتى دوى أزيز الكلام عنه ..

قال الحداد (جيك باركر) (*) :

- « هذا أكثر الرجال انتظاماً في المواعيد .. يمكنك أن تعرف الساعة الثانية عشرة حين تراه يرحل دون أن ينظر لك .. »

(*) { اعترف أن ترجمة هذه المحادثة غير دقيقة ، بسبب أنها تجري بلسان عمال المناجم . إن حديثهم ممتع لكن ترجمته حرفياً شبه مستحيلة (

قال عامل المناجم (بيتر هوز) :

- « وتلك فضيلته الوحيدة على قدر علمي .. »

قال (فيرجسون) موظف (ويلز فارجو) شركة لنقل الشهيرة :

- « إنه وصمة لهذا المجتمع .. »

قال عامل المناجم (هام ساندوتش) :

- « هل يذكر أحدكم أنه دعاه إلى الشراب ؟ »

- « من ؟ (فلنت باكنر) ؟ »

اندفع هذا التيار من التعليقات الساخرة من كل صوب .. وبعد صمت قال (بات رايلي) عامل المناجم :

- « إنه للفرز تلك الوغد .. والفتى لغز آخر .. لا أفهم شيئاً .. »

قال عامل المناجم (هام ساندوتش) (*) :

- « ولا أحد يفهم .. لكن لو كانوا لغزين فكيف نقيم هذا الآخر ؟ إنه يفوقهما في الغموض كثيراً . »

- « لك أن تراهن على هذا .. »

وافق الجميع على هذا ، ما عدا واحداً .. كان هو الواقف

(*) معنى اسمه هو (شظيرة فخذ الخنزير)

الجديد (بيترسون) .. لقد دعا الجميع إلى الشراب وسأل
عن كنه الشخص الثالث أجاب الجميع على الفور :

« (أرشي ستيلمان) ! »

تساءل (بيترسون) :

« هل (أرشي ستيلمان) لغز حقًا ؟ »

قال موظف (ويلز فرجو) (فيرجسون) :

« إنه الغموض ذاته . وبالنسبة له يغدو البعد الرابع
شيئًا مفهوماً .. »

فقد كان (فيرجسون) متعلماً ..

وكان (بيترسون) يرغب في سماع كل شيء .. وكان
كل واحد مستعداً لسرد القصة لكن البارمان أصر على أن
يدعو أحدهم الآخرين للشرف بالدور . وبدأ (فيرجسون) الكلام :

« حسن .. هو صبي .. وهذا كل ما نعلمه عنه ولن
تحصل على شيء آخر منه . لن تعرف نواياه . يمكنك أن
تخمن . تحاول حتى يسود وجهك وهو كظيم . لكن
ما الذي تصل إليه ؟ إلا أن له موهبة غريبة سمها موهبة
أو سحراً . اختف من أمامه في أي مكان تريد ، وسوف
يصل إليك ويخرجك من مكانك .. »

« أنت لا تعنى هذا .. »

« لكنني أعنيه .. إنه لا يرى في هذا شيئاً صعباً أو موهبة
خاصة .. ولا يبالي بالبرد أو الظلام أو المطر .. »

« أنت لا تتحدث عن الضباب ؟ »

« ضباب ؟ إن له عيناً تخرق الضباب كأنها الرصاص .. »

« إن هو للشيطان ذاته !! »

« كثيرون فكروا في هذا .. والآن دعني أحك لك شيئاً
فعله .. ليلة أول من أمس .. »

هنا دوت جلبة بالخارج ، وانفتح الباب .. ودخل حشد
متحمس تتقدمه امرأة لمصكر البيضاء الوحيدة ، وهي تصيح :

« طفلتى ' طفلتى ' لقد ضاعت ! بالله عليكم ساعدوني
كي نجد (أرشي ستيلمان) فقد بحثنا في كل صوب .. »
قال البارمان :

« اجلسي يا مسز (هوجان) .. ولا تقلقي .. لقد طلب
منى فراشنا منذ ثلاث ساعات . (هام ستاندوتش) .. اصعد
وايقظه .. إنه في رقم (14) .. »

سرعان ما هبط الفتى متأهباً .. وسأل الأم عن بعض
التفاصيل .

« للأسف ليست هناك تفاصيل يا عزيزي .. وليت لدى
تفاصيل .. أرققتها في فراشها في السابعة مساء .. وحين
صعدت للفراش منذ ساعة ، لم أجدها .. ذهبت لكوكبك فلم
أجدك هناك .. ورحت أبحث عنك في كل مكان .. لكن الآن
وجدتك ولله الحمد .. ولمسوف تجدها لي .. »

« حسن ، ذهبي لكوكبك ياسينتي ولمسوف ألحق بك .. »

وخرج الجميع من الحانة لبدء البحث .. وسرعان
ما بلغوا كوخ (هوجان) .

قال (أرشي) للأُم :

« هاتي لي مصباحاً .. »

ورجع على الأرض الصلبة متظاهراً بأنه يفحصها .
وقال وهو يشير بإصبعه إلى الأرض :

« هذا هو دربها .. هل ترون ؟ »

نظر الرجال وأقنع بعضهم نفسه بأنه يرى آثاراً بينما
اعترف آخرون بأن الأرض ناعمة لا تظهر شيئاً على
الإطلاق . أو أن عيونهم ليست بهذه الحدة ..

خرج (ستيلمان) من الغرفة واتجه إلى اليسار وقال :

« وجدت أثرها .. اتبعوني .. »

ولمسافة ميل ونصف مشى الفتى وهو يحمل المصباح
بين الأشجار الكثيفة ودار دورة ونصف حول نفسه .. ثم
قال لهم وهو يشير إلى جذع شجرة :

« هنا جلست المسكينة بعد ما أرققها المشى .. هل

ترون ؟ »

لكن أيّاً من الرجال لم يستطع أن يرى شيئاً على الجذع
الأمس كالصلب لكن الأم الحزينة ركعت وطبعت قبلة على
الجذع ، وأعلنت :

« لكن أين هي إذن ؟ »

دار (ستيلمان) في دائرة حول المكان . وهو يرفع
الغانوس متظاهراً بالبحث عن آثار ..

ثم قال في ضيق :

« حسن .. لا أفهم هذا .. »

وعاد يتفحص المكان :

« كانت هنا لم تغادر هذا المكان .. هذا أكيد .. هذا

لغز .. لا أستطيع تفسيره .. »

هنا فقت الأم صوابها :

- « آه يا إلهي الرحيم !! ثمة وحوش طاهرة اختطفها
من هنا !! لن أتحمل هذا ! »

- « لا تقلقى .. سنجدها .. »

أمسكت الأم بيده ولتتمتها وقالت :

- « ألا بارك الله فيك يا (أرشى ستيلمان) »

همس (بيترسون) فى تهكم فى أذن (فيرجسون) :

- « تمثيلية بارعة .. لكن ما كان يجب أن يحطنا
نمشى كل هذه المسافة .. كان أى مكان قريب يؤدى
الغرض نفسه .. »

هنا هتف (أرشى) وهو يشير إلى الأرض :

- « انظروا جميعاً هنا !! كان الجواب أمامنا طيلة الوقت
ولم نره .. »

ونظر الجميع إلى حيث أشار (أرشى) فلم يروا شيئاً ..

- « أحمقاً لا ترون شيئاً ؟ انظروا .. هذا هو أثر (إيجن
بيلى) .. لقد أخذ الطفلة .. »

هتفت الأم :

- « رحمتك يارب ! »

- « خذوا المصباح واتبعونى ! »

وراح يجرى بين الأشجار ثلاثين ياردة .. ثم اختفى خلف
مرتفع من الرمل .. لحق به الرجال فوجدوا كومة من
البطاطين وأغطية الجياد المكومة على شكل خيمة هندية
صغيرة .. وبين الفتحات ضوء خافت ..

قال الفتى :

- « أنت قائدتنا يا مسز (هوجان) .. أنت أولنا .. »

ومشى الجميع ليروا ما بداخل الخيمة الهندية ..

كان (إيجين بيلى) جالساً على الأرض والطفلة نائمة
بجواره .. احتضنتها الأم فى حرلة ونهم .. واتهمرت الدموع
من عينيها وبصوت مختنق صبت ذلك الشلال الثمين من
العواطف الذى لا يمكن أن يوجد إلا فى قلب أيرلندى ..

قال (بيلى) :

- « وجدتها فى العاشرة مساء .. كانت نائمة هناك ..
متعبة .. دامعة .. تبكى .. حملتها لهناء وأطعمتها .. كانت
جائعة .. ثم نامت .. »

الجزء الثاني

عصر اليوم التالي ، كانت الإشارة تكهرب القرية كلها .
هناك غريب نبيل كريم المحتد ، قد وصل إلى الخان ، ووقع
باسمه المروع في السجل :

شيرلوك هولمز ..

انتقلت الأخبار من كوخ لآخر .. ألقوا بأدوات الحفر
واحتشدت البلدة كلها حول مركز الاهتمام . وصاح رجل في
شمال القرية بالأخبار لـ (بات رابلي) . وشعر (فتلوك
جونز) بالغثيان وقال لنفسه :

« نعم (شيرلوك) ! يا له من حظ ! أن يأتي بينما
أنا ... »

ثم قال لنفسه :

« وما المشكلة ؟ أي واحد يعرفه كما أعرفه أنا ، يفهم
أنه لا يستطيع حل لغز جريمة إلا بعد ما يدبرها أولاً .. ويرتب

احتضنته الأم في تاج عاطفتها وأطلقت عليه اسم
(ملاك الرب) ..

وفي الواحدة والنصف صباحاً عاد الموكب للقرية مقتياً :
حين يعود (جونى) لداره ..

ملوحين بالمصابيح ، يجرعون الشراب ، واستمر المسهر
حتى الصباح ..

الأدلة .. ثم يستأجر شخصاً يرتكبها له^{١*} . الآن لن تكون هناك أدلة فماذا عساه يفعل ؟ لا .. كل شيء على ما يرام .. كنت سأجازف بإلغاء الخطة .. لكن لا .. (فلينت باكثر) سيفقد دنيانا هذا المساء .. »

هنا ظهرت مشكلة أخرى :

- « العم (شيرلوك) سيكون معي هذا المساء .. بينما أنا بحاجة إلى الأفراد بنفسى فى كوخى حوالى الثامنة مساء .. كيف أتخلص منه ؟ »

ثم وجد الحل :

- « سنخرج لنزهة .. ثم أتركه دقيقة . فلن يرى ما سافعله .. أفضل شيء تضلل به مخبراً هو أن تكون معه بينما أنت ترتب كل شيء .. هذا هو الحل الأصوب .. »

فى الآن ذاته كان الطريق أمام الخان ممدوداً بالقرويين ينتظرون ويأملون فى رؤية الرجل العظيم .. لكنه لم يغادر حجرته .. بعض الرجال تسللوا إلى خزائن الحفائب ، وثقبوا فيها ثقبوا اختلسوا منها النظر .. هكذا استطاعوا أن يلقوا نظرة على أعظم مخبر فى العالم ..

(*) طبقاً لهذه سخرية (مارك توين) الأمريكى من (هولمز) رمز لدى البريطانى . وكما سنرى يقوم بـ (بهدلته) بعض فى هذه القصة

كان يجلس هناك .. ليس خرافة .. ليس ظلاً .. بل هو حقيقى حى .. مادة مجسمة .. تكاد تلمسه ..

وقال (فيرجسون) :

- « لنظر لهذا الرأس ! بحق السماء هذا رأس فعلاً ! »

وقال الحداد :

- « وشحوبه ! يأتي من التفكير .. من هنا يأتي ! الحمقى من أمثالنا لا يعرفون معنى كلمة تفكير أصلاً .. »

- « وهذه النقضية .. هذا هو التفكير العميق .. تحت .. تحت .. يأتي من عمق أربعين قامة فى أحشائه . إنه على وشك التوصل لشيء ما .. »

- « حتماً . ولا تنسوا هذا . انظر لهذه الجدية المخيفة .. »

- « لقد مات أربع مرات من قبل .. ثلاث منها كانت موتاً طبيعياً .. سمعت أن رائحته رطبة باردة .. كأنه قبر .. »

- « شش .. راقبه ! لقد وضع إبهامه على طرف جبينه القريب ، وسبابته على الطرف البعيد .. إن تفكيره منهك جداً ، ولك أن تراهن على هذا بقميصك الآخر . »

- « الآن هو ينظر للسماء ويمسح شاربه ببطء .. »

- « هل تراه ؟ إنه ينهض .. يبدو أنه لا يجد الدليل ..
لذا .. »

- « انظر له يتنسم ! كالنمر .. لقد وصل إليها يا شباب !
وصل إليها بالتأكيد ! »

- « يجب أن أقول هنا إنني أكره أن أكون الرجل الذي
يبحث عنه .. »

جلس (هولمز) إلى النافذة وظهره للمتتبعين ، وبدأ
يكتب .. فأدار الجواسيس ظهورهم وأسطروا غلايينهم ليتكلموا
من مخبئهم :

- « يا شباب . لا فائدة من الكلام إن الرجل مذهب .. »

- « أنت لم تقل قط كلمة أحكم يا (ويلز فارجو) ..
وإنني لأتساءل ماذا كن سيفعله لو جاء أمس .. »

- « بالله عليك .. كنا سنرى عملاً عظيمًا باهراً .. (لرشي)
جيد ولا يرغب أحد في تهوين شأنه . لكن موهبته نوع من
موهبة البومة لا أكثر .. لا ذكاء فيها .. ولا يمكن مقارنتها
بهذا الرجل .. كان سيتجه إلى السيدة ويسألها : »

- « مدام .. من فضلك .. لا تتركى ذهنك يشرد .. ما جنص
ابنتك ؟ »

- « أنثى يا سيدى .. »

- « وعمرها ؟ »

- « ستة أعوام يا سيدى .. »

- « أم م م .. صغيرة السن .. ضعيفة .. ميلان .. سينهكها
للمشى أكثر من هذا .. سنجدتها على بعد ميلين .. وأسنتها ؟ »

- « خمس يا سيدى .. والسادس فى الطريق . »

- « جميل .. جميل .. »

- « ترون يارفاق . الرجل يجد الدليل فيما لا نرى نحن
أى معنى له .. ثم يسألها : »

- « نياتها ؟ »

- « كاثوليكية يا سيدى .. »

- « جميل .. ناولتني قطعة من غطاء الفراش .. شكرًا ..
من الصوف .. صناعة أجنبية . هممم .. جميل .. وبعضنا
من غبار الأرض .. »

- « هكذا يا شباب يأخذ هذه الأشياء ويضعها على المنضدة ..
نقد حصل على كل ما يريد من أدلة .. ويروح يرصها على
المنضدة بشكل مختلف فى كل مرة (أنثى) ثم يعيد الترتيب

(سقة) ثم يعيد الترتيب .. (كاتوليكية) .. وبعد قليل يلتصع وجهه بالبتسامة كأنه بيت يحترق .. ثم يقول للحشد :

« اثنان منكما . خذا مصباح .. اذهبا لـ (بجن بيلس) .. إن الطفلة هناك .. أما الآخرون فليعودوا لبيوتهم ويناموا .. تصبحين على خير يا مدلم .. تصبحون على خير يا سادة .. »

« هذه هي طريقته .. فقط العلم .. رجل كهذا لا يمشى وسط الأشجار ساعة ونصفاً يبحث في الأرض .. »

وجلس الرجال يفكرون راضين عن أنفسهم ..

7

في الثامنة مساء تلك الليلة كان هناك رجلان يشقان طريقهما قرب كوخ (فلينت باكتر) في ظلام الغابة . كانا (هولمز) ولبن أخيه .

قال (فتلوك) :

« قف هنا يا عماء .. بينما أهرع إلى الكوخ .. لن أتأخر أكثر من دقيقة .. »

اختفى لدقيقة ثم عاد ، وواصل الاثنان المشي .

في التاسعة مساء كانا قد عادا إلى الخان . كان هناك حشد من الناس ينتظرون أن تقع عيونهم على الرجل الخارق

للعادة . ارتفعت أصوات التهليل فرد (هولمز) المجاملة بالحناءات ملكية .. وقال (فتلوك) للمجتمعين :

« إن لدى النعم (شرلوك) بعض أعمال يا سادة .. لكنه سيعود في الواحدة أو منتصف الليل ويأمل لو بقى بعضكم كي يشاركه الشراب .. »

صاح (فيرجسون) :

- « بحق السماء إن هذا الرجل ذوق يارجال . ثلاث
تهليلات لأعظم رجل عاش على الأرض .. هيب هيب
هيب !! »

- « مرحى .. مرحى .. مرحى .. أيها النمر !! »
واهتز المبنى بصوت الهاتف ..

وفى الطابق العلوى وبخ (هولمز) ابن أخيه برفق
قائلاً :

- « ثم ورطتني في هذا الارتباط ؟ »

- « أحسبك ترغب في الشعبية يا عمي . إنهم يحبوك لو لم
تدعهم إلى الشراب سوف يعتبرونك صعلوكاً . ثم إنك قلت
إن لديك من أخبار الوطن ما يكفي ليشغلا طيلة الليل . »

ظل وعمه يتكلمان ثلاث ساعات كمنة .. ثم عد منتصف
الليل ، نزل (فتوك) إلى الضلام ، ووقف ينتظر .. بعد خمس
دقائق خرج (بكنر) مسرعاً من غرفة البلياردو .

قال للفتى لنفسه :

- « قد ظفرت به ! »



في ثامنة مساء تدث الليلة كان هناك رجلا يشربا طريقتيها
قرب كوخ (اليت باكنر) في ظلام العابة .

وقال للنخل المبتعد :

- « وداعاً للأبد .. يا (فلينيت باكتر) .. أنت شتتت أُمى ..
ليكن .. لقد انتهى الأمر الآن .. أنت تخطو خطواتك الأخيرة
يا صديقى .. »

وعاد للخان ، وقال لنفسه :

- « حتى الواحدة صباحاً هناك وقت أمضيه مع الشباب ..
هذا مفيد كحجة غياب .. »

وعاد مع (هولمز) إلى غرفة الليلياردو المليئة بوجوه متلهفة
معجبة .. طلب الضيف المشروبات وبدأ المرح . وسرعان
ما تهشم الثلج ، وبدأ الغناء ..

وفى الواحدة وست دقائق كان الحفل فى ذروته . حين ..
يوم !!!

ساد الصمت .. ثم زال السحر واندفع الرجال إلى الباب :

- « شئ ما انفجر .. »

وتدفق القوم إلى الوادى قطعوا ميلاً فى دقائق . وفى ضوء
المصابيح وجدوا أرض كوخ (فلينيت باكتر) القذرة .. لكن
لكوخ ذاته لم يكن هناك .. لا علامة من أى نوع على وجود
(فلينيت) ذاته ..

ثم صاح أحدهم :

- « هو هنا .. »

بالتفعل على بعد خمسين ياردة ، وجدوا كتلة بلا حياة تمتلئ ..

هنا احتشد القوم حول مركز الاهتمام (شيرلوك هولمز) ..
وقف عمال المناجم محيطين بموقع الجريمة .. ووسط هذا
الجمع وقف الرجل الخارق للطبيعة وابن أخيه بجواره يحمل
له مصباحاً . راح يأخذ قياس الكوخ بشريط . راح يقيس لارتفاع
الأشجار . أخذ عينات من التربة بجفت صغير .. وحدد إحداثيات
المكان باليوصلة ، ثم سجل الوقت (طبقاً للمحيط الهادى)
بساعته ثم صححه ليعرف الوقت المحلى . مشى من الكوخ
إلى الجثة وصحح الاختلاف المد جزئى . وحدد الارتفاع
وحرارة الجو .

فى النهاية قال وهو ينحنى اتحناءة فخيمة :

- « لقد انتهيت .. فهلا عدنا يا سادة ؟ »

ثم تقدم الجمع إلى الخان ، بينما الناس يمشون وراءه
شاعرين بانبهار من هذا الرجل الخارق وراحوا يتساءلون
عن ألف هذه المسألة التى رأوها الآن .

قال (فيرجسون) :

- « رياه ! لكن من حسن طالعنا أن هذا الرجل معنا الآن
يا شباب .. »

قال (هام ساندوتش) :

- « هذا حدث القرن .. لسوف يتحدث العالم كله عن هذا ،
ولكم أن تأخذوا كلمتي .. هذا أفضل حظ لمصير مستجد ..
سوف ترتفع أسعار مناجمنا .. »

- « يا جدهان .. أنا لست نالما على أنه لم يكن هنا لإنقاذ
الطفلة .. هذا شيء أكبر وأهم وأكثر علمية وثقافة .. »

- « لو كان (أرشى) هنا لتعلم شيئا من طريقة عمل
الرجل .. لكنه توارى بين الأشجار .. »

- « (أرشى) صغير السن .. سيتعلم أفضل في يوم من
تلك الأيام »

راح الرجال يخمنون من فعلها لكن من دون جدوى .. كان
(هيلار) الصغير هو الوحيد ذا العلاقة الحميمة مع (باكتر) ..
صحيح أن (باكتر) كان مكروها لكن ليس إلى حد أن يقتله
أي رجل ..

كان هناك اسم واحد على لسان الجميع من البداية ، لكن
لم يلفظه أحد إلا متأخرا جدا ، وكان (رايلي) هو من
لفظه : (فتلوك جونز) ..

- « نعم .. كلنا فكر في الشيء ذاته لأن له مليون حق
كي يقتل (فلينت باكتر) .. بل كان هذا من واجبه . لكن
هناك مشكلتين : أولا ليس لديه البارود .. ثانيا : لم يكن
قرب مكان الحادث .. »

قال (فيرجسون) :

- « كان في غرفة البلياردو حين وقع الحادث .. »
- « الأمر كذا . وهذا من حسن حظه . كنا سنتهمه في
دقيقة لولا هذا .. »

تم إخلاء قاعة طعام الخان من كل شيء إلا من منضدة من خشب الصنوبر بينما جلس (هولمز) فى جلال ومهابة على مقعد .. ووقف القوم وتكاثف الدخان .

رفع الرجل الخارق يده طلباً لمزيد من الصمت ، ثم باختصار ألقى سؤالاً تلو الآخر ، وعلق على الأجوبة بـ (م م م) .. وهزات رأس . من ثم عرف كل شيء عن (فلينت) .. ثم وضع الأثلة على المنضدة وقال :

- « لدينا خط الطول وخط العرض ، وقد تم تصحيحها مغناطيسياً .. هذا يحدد لنا بدقة الملساة . لدينا الارتفاع والحرارة ودرجة الرطوبة .. وهذه أشياء مهمة لأنها تحدد لنا بدقة تأثير الطقس على مزاج القتل فى ليلة الجريمة . »

سادت المكان علامات الإعجاب :

- « بحق القديس (جورج) .. إن الرجل لعسقى .. »

- « والآن نسأل للشهود الصامتين .. لدينا حقيقة فارغة .. ماذا تقول ؟ تقول إن السرقة هى الدافع لا الانتقام .. ماذا تقول

أيضاً ؟ تقول إن الجاني محدود النكاء .. نو نكاء متدنٍ .. لأن أى رجل متوسط النكاء ما كان ليسرق (باكنر) الذى لم يشتهر قط بحيرة مل . لكن هل الجاني غريب ؟ فلتكلم الحقيقة ثانية .. هناك هذه اللقطة فيها .. افحصوها .. أنت وأنت . ثم أعيدوها لى من فضلكم .. إنها قطعة من الكوارتز . وليس هناك سوى عرق واحد فى هذا الخليج ينتج هذا النوع من الكوارتز .. وأنا لا أراه يوماً بعيداً حين تشهر الثروات على المائتى عامل فى هذا المعدن النفيس .. »

ساد المرح للقاعة وراح كل واحد يصافح جاره والدموع فى عينيه .

عاد (هولمز) يقول :

- « الآن نرى ثلاث حقائق : الجاني كان محدود النكاء .. ولم يكن غريباً .. وغرضه هو السرقة .. الآن أنا أحمل فى يدي جزءاً من فتيل نفوح منه رائحة الحريق .. ما هى شهادته ؟ نستنتج من هذا أن الجاني عامل مناجم .. ونستنتج أيضاً أن القتل تم بالتفجير . وأن المتفجرات كانت جوار الكوخ قرب الطريق .. وفى يدي الآن عود ثقاب من الطراز السويدي الذى يشتعل حين تحكه فى العلبه . وجدته على بعد ستمائة قدم من الكوخ .. معنى هذا أن الفتيل

اشتعل من هناك .. ولم يخبرنا أيضًا؟ أن الجاني كان أعسر .
ليس بوسعي تفسير هذا ياسادة .. إن العلامات طفيفة
بحيث لا يقدر إلا المران الطويل والخبرة على تفسيرها ..
لكنني أؤكد لكم هذا وأنتم تعرفون من المجلات البوليسية
أن كل سفاح أعسر ..

قال (هام ساندوتش) وهو يضرب فخذه :

- « بحق (جاكسون) هذا صحيح . فلتلوموني لو كنت
خمنت هذا من قبل .. »

وقال الرجال :

- « انظروا لعينيهِ ! ما من أحد يقدر على الفرار منه ! »

قال (هولمز) :

- « الآن قطعة الخشب هذه تخبرنا أن الجاني لم يفر
قطعة الخشب هذه أصابته ودمه عليها . »

ثم أظلم وجهه وأشار إلى اتجاه معين :

- « ها هو ذا السفاح ! »

للحظة تصلب الجميع ثم هتف عشرون صوتًا :

- « (سامي هيليار) ؟ لا . ليس هو .. هذا حمق .. »

- « لا تتعجلوا ياسادة .. لاحظوا أن الجرح فوق حاجبه .. »

شحب وجه (هيليار) وراح يتوسل للناس أن يصدقوه ،
ويركض يمينًا ويسارًا . ومد يده لـ (هولمز) وراح يتوسل :

- « لم أفعل . لم أفعل . لقد جرحته في جبهتي حين .. »

صاح (هولمز) :

- « اعتقله يا كونستابل فسوف أعين أمر القبض عليه . »

تحرك الكونستابل للأمام مترددًا ثم توقف . بينما
صاح (هيليار) :

- « (أرشي) أنقذني .. قل لهم كيف أصابني هذا
الجرح .. إن هذا الخبر سيقتل أمي .. »

تقدم (ستيلمان) إلى الأمام وقال :

- « نعم سأنقذك لا تخف . لا تهتموا بسبب الجرح ،
فهو لا علاقة له بهذه القصة .. »

ثم نظر إلى الجمع وقال :

- « سأسأل (توم جفريس) أن يقف عند هذا الباب ،
والكونستابل (هاريس) عند هذا الباب .. وسأطلب ألا يسمح
لأحد بالخروج من هنا .. »

- « كلامك نفذ .. استمر .. »

« إن الجاني هنا وسوف تعرفونه حالاً .. والآن أحكى لكم المأساة كلها من بدايتها .. لم يكن الدافع هو السطو بل الانتقام .. لم يكن القاتل محدود الذكاء .. لم يتعد ستمائة قدم .. لم يضرب في وجهه بقطعة خشب .. ولم يحضر معه حقيية .. ولم يكن أعصر .. وباستثناء هذه الأخطاء اللطافة ، فإن ضيفنا المرموق كان على حق تماماً .. »

لم يغير الضيف جلسته الهادئة على حين واصل (ستيلمان) :

« بل إن لدى شهوداً .. »

ثم رفع قطعة من السلك وقال :

« هناك طبقة ناعمة من شحم الحيوان حولها ، وشمعة احترق نصفها وعليها علامات .. سأخبركم حالاً أين وجدت هذه الأشياء .. سأدخل الآن عن وضع الألة مغا وكل الألعاب المسرحية لمهنة المخبرين .. وأخبركم ببساطة كيف حدث هذا الشيء للمؤسف .. »

ثم صمت كي يترك تأثيراً .. وكى يصل التركيز والانتباه إلى النروة .. ثم أرفف :

« لقد درس السفاح خطته بعناية .. وكانت خطة محكمة تدل على عقل عبقري .. في البداية وضع علامات على شمعة على مسافة بوصات .. ثم أشعلها وقدر زمن اشتعالها .. فوجد أن لاحتراق أربع بوصات منها يحتاج إلى ثلاث ساعات .. لقد جربت هذا بنفسى من نصف ساعة ..

« بعد هذا وضع القاتل الشمعة في ماسك شمعة معننى ، وعند علامة الخمس ساعات صنع فى الشمعة ثقباً يسلك ساخن .. هذا هو السلك الذى رأيتموه وعليه الشمع ..

« بكثير من الجهد اخترق الأحراش حول كوخ (باكتر) ومعه برميل دقيق فارغ . وفى قاعة ثبت حامل الشمعة .. ثم قاس نحو 35 قدماً من الفتيل ، وهى مسافة البرميل من الكوخ .. ثم إنه صنع ثقباً فى جانب البرميل .. هكذا صار أحد طرفى الفتيل فى كوخ (باكتر) والآخر فى الثقب فى الشمعة .. وقد تم التوقيت ليشتعل فى الواحدة صباحاً .. بشرط أن تشتعل الشمعة فى الثامنة مساءً .. وبشرط أن يكون هناك بارود فى الكوخ يتصل بنهاية الفتيل ..

« يا شباب .. البرميل هناك بين الأشجار وبقيت الشمعة فيه .. رأيت كل هذا منذ ساعة بينما الأستاذ هنا يجمع أدلة لا علاقة لها بالقصة .. »

ثم صمت فتتفس الناس بعرق .. وتحمرت العضلات مهللة :

- « لهذا كان في الاحراش .. انظروا له .. إنه ليس
أحمق يا أولاد .. »

هنا قاطعه الرجل الخارق :

- « لقد ظفرنا بقصة خيالية جميلة .. جميلة جداً يا سادة ..
الان هل لي أن أسأل هذا الشاب سؤالاً أو اثنين .. »

قال (فيرجسون) :

- « أعتقد أنه سيوقع به الآن .. »

قال (هولمز) :

- « تعال نتفحص هذه القصة الخيالية بطريقة منظمة ..
نربط دليلاً بدليل في زحف ثابت لا يتقهقر ولا يعثر به الندم
نحو قلعة الخطأ المبهرجة هذه .. مصنع الأحلام لخيال
بلاخبرة .. لنبدأ يا سيدي أسألك .. هل تفترض أن هذه
الشمعة أشعلت في الثامنة مساءً أم لا .. »

- « نعم يا سيدي .. حوالى الثامنة .. »

- « هل يمكنك أن تقول الثامنة بدقة ؟ »

- « لا .. لا أستطيع أن أتكلم بهذه الدقة .. »

- « حسن .. لو أن أحداً مشى هناك في هذا الوقت لكان
محمّلاً أن يقبض على القاتل .. ألا ترى هذا ؟ »

- « نعم .. أعتقد هذا .. »

- « شكراً لك .. هذا كل شيء بالنسبة للحظة الحاضرة .. »

قال (ستيلمان) :

- « أنا كنت هناك في الثامنة والنصف ، لكنني لم ألق
السفاح .. لكنني أعرف أنه في هذه الحجرة .. وأريد منكم ..
جميعاً أن تعلموا أمامي حتى أستطيع أن أرى أقدامكم .. »
امتلاً الجو بالإنارة .. وبدأ تنفيذ الأمر ..

اتحنى (ستيلمان) وراح ينظر لأسفل ، محمّلاً في كل
قدمين .. مر به خمسون رجلاً بلا نتيجة .. ستون ..
سبعون .. بدأ الأمر يبدو سخيلاً ، وقال الضيف
في تهكم :

- « يبدو أن السفاحين نادرو الوجود هذه الليلة .. »

بدأ الجميع يرون ما في الموقف من سخريّة .. وبدأ من
يتقدمون لعرض أقدامهم يرقصون في حركات ضاحكة ..
فجأة أمسك (ستيلمان) جبينه وهتف :

- « هذا هو السفاح ! »

- « رباہ !! (فتلوك جونز) ؟ »

في ذروة الصخب رفع الضيف يده أمراً بالصمت . أدت شخصيته الكاسحة إلى أن يسود الصمت المكان .. ووسط السكون اللاهث الذي عم المكان ، تكلم الضيف بكبرياء قتلًا :

- « هذا خطر .. إنه يحكم حياة برينة .. برينة فوق الشبهات .. اسمعوني أتكلم .. انظروا كيف أن حقيقة بسيطة ستبدد هذه الكذبة غير المسنولة .. يا سادة هذا الفتى لم يفارق عيني طيلة ليلة أمس .. »

كان تأثير هذا قويًا ، ونظر الناس إلى (ستيلمان) متسائلين .. فقال :

- « كنت أعرف أن معه واحدًا آخر ! »

واقرب من الضيف ونظر إلى حذائه وقال :

- « أنت كنت معه .. كنت قريبًا منه حين أشعل الشمعة التي فحرت البارود .. بل واستعمل علبة ثقابك .. »

فتح الضيف فمه ليتكلم فلم تخرج الكلمات ..

- « هذا .. هذا جنون .. »

- « عود الثقلب الذي وجدته أنا في البرميل هو ثقب مكسو بالشمع من نوع لا يمكن أن تجده في القرية . وأنا مستعد لتفتيشي للتأكد من أنني لست من وضعه هناك . فهل أنت مستعد ؟ »
راح (هولمز) يفتش في جيبه .. ثم شحب وجهه وقال :

- « أنا أرفض أن أفتش ! »

ساد الصمت لكن كل واحد راح يهمس في أذن الآخر :

- « هذا يوضح الأمور .. لقد صار لقمة سائغة لـ (آرشي) .. »

ماذا نفعل الآن ؟ ما من أحد يعرف .. لقد كان موقفًا مربكًا .. والأهم أنه جاء فجأة فلم تتحملة هذه العقول التي لم تتعود للمفاجآت ..

تقاربت الرعوس وراحوا يتناقشون اقترح البعض أن يتم توجيه الشكر للقاتل على الخلاص من (باكتر) مع إطلاق سراحه .. لكن الأكثر حكمة قالوا إن العقول المنطردة في الشرق مستعبر هذه فضيحة .. ولسوف يسخر الجميع من حماقتهم . أخيرًا انتصر رأي الأكثر حكمة وأعلنوا أن (فتلوك) سوف يسجن ويحاكم ..

كان الناس سعداء لانتهاء هذا ؛ لأنهم كانوا متلهفين
للذهاب إلى مسرح الجريمة ليروا ما إذا كان اليرميل هناك
أم لا .. لكن المفاجآت لم تنته بعد ..

كان (فتلوك) طيلة الوقت يبكي في صمت ، وفجأة انفجر
صالحاً في قنوط :

- « لا ! لا جدوى ! لن أذهب للسجن .. لا أريد محاكمة ..
لقد نلت ما أردت من تحس وتعاسة .. استنقوني الآن
وأريحوني .. فهذه هي النتيجة على كل حال .. لقد حكى
القصة كأنه كان معي .. ولا أعرف كيف استنتج هذا كله ..
لقد قتلت الرجل ، وكان أي واحد منكم سيفعل الشيء ذاته
لو أنه عومل ككلب .. من دون صديق يعينه .. »

قال (هام ساندوتش) :

- « وخدمته بإخلاص برغم هذا .. »

هنا جاء صوت يسأل :

- « هل عرف عمك بما تتوهم ؟ »

- « لا .. »

- « هل أعطاك الثقاب ؟ »

- « نعم ! لكنه لم يدر بما ألتوهم .. »

- « وكيف جازفت بهذا كله وهو معك ؟ أنت تعرف أنه
مخبر .. »

تردد الفتى وعبث في أزراره بشكل مرتبك ، ثم قال
بخجل :

- « أنا أعرف المخبرين .. والطريقة المثلى لتجعلهم
لا يكتشفون شيئاً ، هي أن تفعل الشيء وأنت معهم .. »
دوى الضحك محيياً هذه الحكمة المحلية ، لكن هذا لم
يخفف من ارتباك الفتى .

من خطاب لصرا (ستيلمان) لا يحمل تاريخاً إلا كلمة
(الثلاثاء) ،

لقد حبسوا (فتلوك جونز) في كوخ خال .. وتركوه
- بانتظار المحاكمة .

في اليوم التالي توجه عدد منا مع (هيلار) - على
سبيل الصداقة - وساعدناه على دفن قريبه ..

أنهينا عملنا وهنا مر جوارنا رجل غريب منكم مفر يحمل
حقيبة ، ورأسه مطأطأ هنا تعرفت الراححة ' الراححة التي
طاردها عبر الكرة الأرضية .. كانت كراححة الجنة بالنسبة
لأمالي المتلاشية ..

وفي لحظة كنت بجواره وعلى كتفه وضعت يدا رفيقة ..
سقط على الأرض كأنما ضربه البرق ، وإذا جاء الشباب
يركضون ركع على ركبتيه وضم يدين متوسلتين ، ومن بين
كفين مرتجفتين توسل إلى أن أكف عن ملاحقته وقال .

- « لقد طاردتني عبر العالم يا (شيرلوك هولمز) ..
لكن الله يشهد على أنني لم أؤذ إنساناً قط .. »



وفي لحظة كنت بجواره وعلى كتفه وضعت يدا رفيقة سقط
على الأرض كأنما ضربه البرق .

نظرة لعينيه أخبرتني أن الرجل مجنون .. هذه نتيجة
عملي يا أماء ! إن سكرات موتك ربما تريك يوماً ما شعرت
به في هذه اللحظة ..

ساعده الشباب على النهوض ، وشعرنا بالشفقة من أجله ..
وقتنا له لرق وأفضل الأشياء . وقت له أن يشر ولا يخاف ..
لقد صار بين أصدقاء الآن . وسوف يعنون به .. وسوف
يشفقون أي رجل يحاول إيذاءه ..

إن عمال المناجم يكونون كالأمهات حين تحرك الجانب
الجنوبي في قلوبهم ويصيرون أطفالاً مستهترين غير
متعقلين حين تحرك الجانب الآخر من قلوبهم . وقد جربوا
كل حيلة لديهم كي يسعدوا قلب الغريب بلا جدوى ، إلى أن
قال رجل (ويلز فارجو) :

- « إن من يثير قلقك هو (شيرلوك هولمز) .. فلا تقلق .. »

- « ولماذا ؟ »

- « لأنه مات من جديد ! »

- « مات ؟ لا تمزح مع باتس مثلي .. هل هذا الرجل

يحكي الصدق ؟ »

قال للرجال بصوت واحد :

- « لقد شفقوا الأسبوع الماضي في (سان برناردينو) ..
بينما كان يبحث عنك .. حسبوه رجلاً آخر .. إنهم آسفون
لكنهم لا يستطيعون تصحيح الخطأ الآن .. »

وقال (هام ستندوتش) بلهجة من شارك في الأمر :

- « هم يبنون له نصيباً تذكاريًا الآن .. »

أخذ (جيمس ووكر) شهيقاً عميقاً ، ولم يقل شيئاً لكن
عينيه فقدتا ما فيهما من توحش .. واسترخى وجهه بعض
الشيء . وقد أخذناه لكوخنا وقدمنا له أفضل عشاء
استطعنا طهوه ..

ثم قدمت له أنا و (هيلار) ثياباً جديدة تماماً .. حتى
صنعنا منه سيداً مصنفاً . (ممن) هي الكلمة المناسبة ..
تناسب ذبوله وبياض شعره .. برغم أنه مازال في منتصف
العمر لو حسبنا الأمر بالمسنين ..

جلسنا ندخن ونتكلم ، وحين انتهى من طعامه .. عاد له
صوته .. وبدأ يحكي قصته بكامل إرادته . سأحاول أن
أحكيها قدر الإمكان :

قصة الرجل الخطأ

بدأ الأمر كذا : كنت فى (دنفر) فجأة تلقيت مذكرة تنذرنى بوجوب الرحيل ، وإلا افتضح أمرى بصدد ارتكابى جريمة مريعة منذ سنوات طويلة فى الشرق ..

كنت أعرف قصة هذه الجريمة ، لكنى لم أكتشفها . كان هذا ابن عم لى يحمل الاسم ذاته .. ماذا أفعل ؟ كان الرعب يبلبل عقلى ولم أدر . والوقت المسموح لى به قصيرا جدا لا يتجاوز يوما . فلو أذيع الخبر لشنقونى من دون محاكمة .. وكالعادة حين يعرفون أنهم أحطنوا سيعتذرون كما حدث مع مستر (هولمز) ..

لذا قررت أن أبيع ما أملك وأفر حتى ينتهى الموضوع . فمرت فى الليل وعشت فى الحبال باسم مستعار ..

ازداد قلقى . وصرت أشعر بأننى مراقب طيلة الوقت ، وفى النهاية كان على أن أستسلم ..

كنت مرهقا . وصارت الشكوك تطاردنى فى الليل والنهار .. ثم جاء الأسوأ . ذات ليلة قالت الهمسات لى

« لن نجح لأننا لا نراه من ثم لن نستطيع تمييزه وسط الزحام »

فقال واحد :

« إن نطلب (شيرلوك هولمز) .. يمكنه أن يصل خلال اثنى عشر يوما .. »

تحطم قلبى لأنى قرأت عن هذا الرجل .. وعرفت معنى أن يقتفى أثرى .. بطاقته التى لا تهمد ..

لقد أرسلت الأرواح تستدعيه ، وكان على أن أفر فى الظلام .. ليس معى من متاع إلا الحقيبة التى وضعت فيها مالى . وكان الرجل قد وصل واستطاع أن يتتبع أثرى ..

لقد ظل يلاحقنى عبر العالم ثلاثة أعوام ونصف عام .. فى المحيط الهادى .. فى أستراليا . فى الهند .. لكنى كنت أرى اسمه دوما فى سجلات الفنادق ، وكان ينسى ويكتبه ثم يشطبه ويكتب فوقه اسما آخر ..

لقد منحنى أسوأ أوقات حياتى ، لكنى أقسم لكم إننى لم أضعه بموء لا هو ولا أى رجل سواه ..

كانت هذه نهاية قصة الرجل ، وقد أثرت كثيرا فى الشباب .. وبالنسبة لى كانت كل كلمة تحرق ثقبنا فى قلبى إذ تصطدم به ..

قررنا أن يبيت الرجل معنا ويكون ضيف (هيلير) .. أما عن
نفسى فسأنتظر حتى يستريح وينال ما يحتاج إليه من تغذية ،
ثم أخذه على (دنفر) كي أعيد انتعاش أحواله المالية .

صافح الشهاب الرجل مصافحة عمال المناجم الحارة التى
تهشم العظام ، ثم تفرقوا لينشروا الخبر .

وعند الفجر نادانا (هام ستندوتش) ورجل (ويلز فارجو)
وقالا :

- « أخبر هذا الغريب والطريقة التى عومل بها قد انتشرت ..
وقد قررنا أن نشق الأستاذ .. لكن الكونستابل (هاريس)
أحمق وقد اتصل بالشريف .. هلموا ! »

بدأنا الجرى .. لكننى تمنيت أن يصل الشريف فى الوقت
المناسب .. إذ شعرت برغبة واهية داخلنى فى أن يشق
(هولمز) عقاباً له على خطاياى أنا .. لقد سمعت عن
الشريف لكننى سألت على سبيل الاطمئنان :

- « هل يمكنه أن يوقف حشداً ؟ »

- « يوقف حشداً ؟ تسأل هل يستطيع (جاك فيرفاكس) أن
يوقف حشداً ؟ أنت تجعلنى أبتسم .. للخارج السابق على القاتون
الذى قتل تسعة عشر رجلاً .. هل يستطيع ؟ »

كانت الصرخات تتعالى من بعيد ، وازدادت قوة إذ دنونا ..
على شكل موجات تتعالى .. الآن صارت الضوضاء مما
يصم الأذان .. لقد أمسك بعض الفتوات من عصاية (دالى)
بـ (هولمز) لكنه أكثر الرجال هدوءاً فى المكان .. فقط
ابتسامة ازدياء على شفتيه ، ولو كان هناك أى خوف من
الموت فى قلبه للبريطانى ، فإن قوة عزمته سيطرت عليه ..

قال أحد رجال عصاية (دالى) :

- « هلموا للتصويت يارجال .. شنى لم رمى بالرصاص ؟ »

صاح أحد رفاقه :

- « لا هذا ولا ذاك .. سيعود للحياة بعد أسبوع كالعادة ..
الحرق هو الحل الأمثل له .. »

وافق الجميع على هذا ، واحتشدوا حول للسجين صائحين :

- « نعم .. النار .. النار هى تذكركه للعالم الآخر ! »

وجروه إلى مريط الخيول وقيده ، وكدسوا حوله الحطب
حتى الخصر .. لكن الوجه القوي لم يشحب ..

- « هاتوا ثقاباً .. ثقاباً ! »

أشعل الرجل ثقاباً وداراه من الريح بيده .. ثم وضعه
تحت قطعة من الخشب .. ساد صمت رهيب .. لقد اشتعلت
قطعة الخشب لدقيقة .. هنا سمعت صوت حوافر من بعيد ..

ازداد الصوت وضوحاً .. ازداد تميزاً لكن لم يبد أن أحداً
من الواقفين قد سمعه .

انطلقاً للنقاب .. فاشعل لرجل آخر ، ومن جديد ارتفع اللهب ،
لكنه فى هذه المرة أمسك بالخشب .. ووقف الجلاذ يراقب
المشهد والنقاب ما زال فى يده ..

الآن صار صوت الحوافر كالرعد .. وفى اللحظة التالية
دوت صرخة :

« الشريف !! »

وسرعان ما وصل ، وقد وقف حصاته على قائمته
الخلفيتين وهتف :

« تراجعوا أيها الحثالة !! »

نفذ الجميع إلقاءاتهم ، الذى وقف فى ثبات ويده على
مصلبه .. فصاح به الشريف :

« أنزل يدك .. لكل قلل لتطفئها .. وحرر الغريب !! »

أطاع الرجل .. ثم ألقى الشريف خطبة على ظهر حصاته .
ولم يحول إضفاء أى بريق على كلمته بل قلبها بشكل مدروس
محكم :

« أقيم مجموعة لطيفة .. إذ تتلون مع (شابللى هجنز)
هذا الجبان فاحش القول ، الذى يطلق النار على الناس من
ظهورهم ثم يعتبر نفسه (سبيرانو) .. لو كان هناك شيء
أحتقره فعلاً فهو الشنق بلا محاكمة .. هذا عمل خال من
الرجولة أن أرى مائة رجل على واحد فقط .. مائة جبان من
مجتمع جبان بدورهم ، وفى تسع وتسعين بالمائة من المرات
يكون الشريف جباناً آخر .. »

وصمت قليلاً كأنما يجتر العبارة ويتلذذ بمذاقها على
لسانه ، ثم أرفف :

« رباة ! لكم تفرغنى فكرة رجل بالغ جبان يخاف من
الجماهير الغاضبة ! »

ونظر إلى الأسير وقال :

« من أنت أيها الغريب .. وماذا كنت تفعله ؟ »

« اسمى (شيرلوك هولمز) .. ولم أفعل شيئاً .. »

كان أثر الاسم مذهلاً على الشريف .. تكلم بحرارة وقال
إنها توصمة عار على البلاد أن تحدث فضيحة كهذه تحت
علم النجوم والشرائط ، لرجل طبقت شهرته الآفاق ..
واستلبت قصصه قلوب القراء فى أرجاء المعمورة ..

اعتذر له بصفته يمثل الولايات المتحدة كلها ، واتحنى
لـ (هولمز) فى رشاقة .. وأعلن أن الكونستابل سيكون
مسئولاً لو ضايقه أحد ثانية .. ثم استدار للجمع وقال :

« عودوا لجحوركم أيها القذرون ! »

وكذا فعلوا .. ثم قال :

« اتبعنى يا (شادلبي) .. سأؤولى قضيتك بنفسى ..
أبقى سلاحك .. فلو جاء اليوم الذى أخشى فيه أن تمشى
ورائى بهذا الشيء معك ، فأنا جبان آخر .. »

ومشى ووراءه (شادلبي) ..

حين عدنا إلى كوخنا ، وقد دنا وقت الإفطار .. سمعنا أن
(فتلوك) قد فر من محبسه فى الليل ..

لم يتأسف أحد لهذا .. دع عمه يبحث عنه لو أراد هذا ..
فالمصكر لا يبالى بالموضوع ..

بعد عشرة أيام

إن (جيمس ووكر) بخير حال الآن ، وعقله يتحسن
كذلك

سأطلق معه إلى (دنفر) صباح غد ..

ملحوظة قصيرة : بينما نحن نتحرك هذا الصباح ، همس
لى (هيليار) :

« أبقى هذه الأخبار بعيدة عن (ووكر) حتى تتأكد من
أنك لن تصيب عقله بأذى ، لقد ارتكبت تلك الجريمة التى
تكلم عنها ، والذى ارتكبتها ابن عمه .. لقد دفنا المجرم
الحقيقى .. أتعس رجل منذ قرن كامل .. (فلينت باكفر) ..
اسمه الحقيقى كان (جاكوب فولر) .. »

هكذا ترين يا أماء .. لقد صار زوجك وأبى فى قبره ..
فدعيه يستريح هناك .

مارك توين



حكايات مارك توين

في القصة الأولى نرى كيف فسدت (هادليبرج) البلدة
التي لا رأس مال لها إلا الشرف .. كيف ؟ .. (مارك توين)
يعرف .. في القصة الثانية نرى الفتى يطارد آياه عبر
الكرة الأرضية لينتقم .. لماذا ؟ .. (مارك توين) يعرف

49



العدد القادم
١٩٨٤

الضمن في محضر
رأس المال بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم